الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة منتوري - قسنطينة -

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة العربية

الواقع و التاريخ في رواية لونجة و الغول

زهور ونيسي

- مذكرة مقدمة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر -

إعـداد :

- أسماء قويسم
- إيـمان لطرش

إشراف الأستاذ الدكتور :

- يحي الشيخ صالح

شعبة : الأدب العربي

تخصص : الأدب العربي الحديث

ماي 2011

بسم الله الرحمن الرحيم

وقل رب زدني علما

شكر و تقدير

نحمد الله عز وجل أولا و قبل كل شيء على توفيقه لنا في إتمام هذا العمل راجين منه أن يتقبله منا و هو راض عنا .

كما نتقدم بجزيل الشكر و أسمى عبارات الامتنان و العرفان الذي أعاننا في إنجاز هذا البحث و لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه ، و الذي سدد خطانا فوجدنا فيه الصدر الرحب ، فتحية حب و تقدير إلى الأستاذ الدكتور الفاضل يحي الشيخ صالح .

و لا ننسى أن نشكر كل من كان لنا عونا و سندا في بحثنا هذا من أساتذة و إلى كل من ساندنا و ساعدنا من قريب أو بعيد نهدي ثمرة جهدن هذه .

- أسماء قويسم

- إيمان لطرش

إهداء

إلى نبع حناني ، إلى من تقر عيني برؤيتها إلى قلبي النابض

بين ضلوعي إلى من سهرت في ظلمة الليل لتنير شمعة حياتي أمي الغالية: الزهراء

إلى قدوتي في الحياة و سر وجودي و مثلي الأعلى ، و باعث الأمن و الاطمئنان و الأمل في

نفسي أبي العزيز : عبد المالك . أهدي ثمرة جهدي و عنائي .

كما أهديها إلى من شاركني في الحياة إلى من يسعد لسعادتي و يحزن لحزني خوتي و

أخواتي ، راجية الله أن يحفظهم من كل شر دون أن أنسى أختي الصغيرة هديل ، كما

أهديها إلى خطيبي علي و إلى كل العائلة الكريمة .

كما أهديها صديقاتي و زميلاتي في المعهد إيمان ، مديحة ، نادية دون أن أنسى وهيبة و

كنزة ، كما لا يفوتني أن أوجه شكري إلى مسؤول بلدية الحروش الذي أمدني بأغلب

المراجع و الكتب و المجلات التي ساعدتني بها في كل وقت

و إلى كل من ساعدني على هذا العمل من قريب أو بعيد .

أسماء قويسم

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين و بعد

الاستعانة بالكريم المحبوب أتقدم بتحياتي و إهداءاتي قبل كل إنس و صاحب إلى الحبيب العظيم صاحب العرش المجيد ، خالق الكون العريض الذي منحنا عقلا و ألهمنا عملا و أخلاقا لرب العالمين .

إلى من وهبتني الحياة ، و أعطتني دون أن تأخذ حبا صادقا و حنانا دافئا و بأيدي الآلام ربتني و بعيون الأتعاب رعتني ، و بصدر الشفقة حوتني إلى كل كياني و رفيقة أحزاني ورجائي في يأسي و قوتي وفي ضعفي إلى مسكنة وجعي و ألمي و مبددة بؤسي و همي ، إليك وحدك أمي الحبيبة إلى من رباني بالحلال و أطعمني و سقاني

إلى من رعاني و من هموم الدهر حماني

تكلف المشقة في تعليمي و يوم نجاحي فرح لي و هناني

إليك أبي العزيز أهدي ثمرة جهدي

إلى أعز الناس على قلبي إخواني الأعزاء : محمد أنور ، أمين و المدلل هيثم وفقهم الله في دراستهم و أنار دربهم و أطال عمرهم .

دون أن أنسى لحظات حب و صداقة جمعتني بأعز الناس كل زميلاتي و صديقاتي بمعهد الآداب : أسماء ، نادية ، هند ، ريمة ، سعاد ، هالة

ايمان لطرش

مقدمة : تعد الرواية من الأجناس الأدبية التي ذاع صيتها خاصة في الآونة الأخيرة ، و قد برع فيها أدباء أصحاب أقلام فياضة كان لهم الفضل في الإبداع و إثرائنا بهذا الجنس الأدبي ، مع الوقت ازدادت الكتابات الروائية و كثرت الإبداعات فيها إلى درجة يمكننا القول أن عصرنا هذا هو العصر الرواية خاصة إذا نظرنا إلى الجمالية الفنية و الأسلوبية التي اعتمدها معظم الروائيين .

لقد سبقت الرواية العربية في ظهورها الرواية الجزائرية ، يرجع ذلك إلى الظروف التاريخية و السياسية و حتى الثقافية التي مرت على الشعب الجزائري و كان ذلك بفعل الاستعمار الفرنسي الغاشم و أساليبه المستنكرة التي اتبعها ضد الشعب الجزائري ، و التي أدت إلى تأخر ظهور كثير من الإبداعات خاصة الرواية ، التي نعتبرها ظاهرة أدبية حديثة النشأة خاضعة لعوامل متعددة صحيح أنها حديثة النشأة و لكنها سريعة التطور باعتمادها أساليب فنية و جمالية معاصرة و يظهر ذلك مع بداية عقد السبعينات ، هذا العصر و بتغيراته القاعدية في الرواية يعتبر الميلاد الفعلي للرواية في الجزائر .

فكانت الرواية الجزائرية أحسن تعبير عن الثورة و ملامحها التي كشفت مآسي و آلام الشعب الجزائري ، و أرخت للأحداث الثورية منذ 1830م إلى غاية 1962م .

فتعتبر الرواية الجزائرية طاقة هامة في التعبير عن أزمات المجتمع و طموحاته ، لأنها الوعاء الأنسب لاحتواء المجتمع الجزائري بفنياتها و جمالياتها و استيعابها للوعي الفردي و بذلك رصد كل ما يخص المجتمع . و استفحلت ما بعد الاستقلال و خاصة في مرحلة السبعينات ، ما سمي بالعصر الذهبي للرواية و تلتها مرحلة الثمانينات و التسعينات ما سمي " بالأزمة الجزائرية " هذه الأزمة المأساوية التي تحتاج لدراسة تحليلية في الأحداث الواقعة و ربطها بالأحداث

التاريخية ، فقد تجلت هذه الأزمات في رواية التسعينيات فكانت المعبر الأول عنها بطريقة أو بأخرى ، سواء باختيار المواجهة أو محاولة تقديم حلول لهذه الأزمات ، و بطريقة أخرى هي الرجوع إلى التاريخ أو ما سمي بالعودة إلى الذاكرة ، و من أهم هذه الروايات التي حاولت تصحيح الواقع من خلال التاريخ و بطريقة رمزية رواية " **لونجة و الغول** " للأديبة **زهور ونيسي**.

و أول ما يشدنا في هذه الرواية عنوانها الذي ينبعث في الثقافة الشعبية الجزائرية و المحمل بمعاني كثيرة تزيد من شوق القارئ للاطلاع على ما يحمله هذا العمل بين طياته من أحداث .

و قد تحمسنا كثيرا لدراسة هذا الموضوع الذي يجمع بين حقبتين مختلفتين فصل بينهما خيط رفيع يدركه فقط الفرد الجزائري ، الحقبة الأولى تاريخية ثورية مملوءة بدم الشهداء و نضالاتهم و بطولات الأجداد و تضحياتهم ، أما الحقبة الثانية هي الواقع المعيش المملوء بالأزمات و الاضطرابات ، وقد حاول الأدباء حل هذه المشاكل عن طريق الأعمال الأدبية ، و هذا ما اتسمت به رواية " **لونجة و الغول** " التي حاولت أن تعطي حلا بالرجوع إلى تاريخ الأجداد و استذكار الماضي.

فتعتبر هذه الرواية اجتثاث حدث ما من أحداث التاريخ الجزائري ، حيث وقفت بنا وقفة مطولة أمام ظاهرة الاستعمار .

نبحث عن أغوار الانعكاس الاجتماعي و النفسي للطبقة الشعبية و تسوق لنا تفاصيل التجربة الحياتية في مباشرتها للاتساق والانعتاق كأداة سياسية و بديل

الواقع أن الرواية جديرة بالقراءة و تبقى مفتوحة على قراءات نقدية و تحليلية داخل المنظومة الأدبية بجدارة .

و مع إعجابنا بالرواية لا ننسى الروائية التي تعتبر شمعة تضيء الحياة الثورية باعتبارها من أهم المناضلات التي عايشت تلك الأوضاع ، و بذلك تكون أفضل معبر عنها ، فقد وصفت معاناة الشعب الجزائري بأصدق تعبير.
وتطرقت للعديد من الجوانب الحياتية فقد أبحرت في أغوار التاريخ بقلم رزين و متأن .

الواقع و التاريخ في رواية " لونجة و الغول " لزهور ونيسي :

لونجة و الغول مشروع نبيل للكتابة عن الوطن و الثورة و المقاومة و الحق و الأمنيات العظيمة ، عادت الأديبة إلى الذاكرة لعرض هذا العمل الفني و الوطني الذي يعتبر تحية حب للشهداء و روح شفافة نبيلة .

زهور ونيسي كتبت هذه الرواية في التسعينيات و تحديدا سنة 1993م زمن الأزمات على جميع الأصعدة – سياسيا و اجتماعيا و اقتصاديا – و هذه الأزمات جديرة بالكتابة فيها ، فقد كانت جديدة على المجتمع الجزائري و حملت مواضيع جمة تستحق التدوين إلا أن الأديبة رجعت إلى التاريخ و ابتعدت عن واقعها المرير ، فهي تعتبر كتاباتها مناسبة للإدلاء بأساليب الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري ، هذه الإشكالية تحتاج إلى كثير من البحوث ، و السؤال الذي يجب طرحه : لماذا الأديبة **زهور ونيسي** هربت من الواقع و فضلت اللجوء إلى تاريخ الثورة ؟ .

ربما كان الهروب تفاعلا مع الأحداث و ما شهدته الجزائر خلال فترة التسعينيات ، و الذي كان من أصعب الفترات التي مرت على الجزائر من آلام و عذاب و مأساة ، فقد ضبطت زهور نفسها ولم تحاول حل المشكلة عن طريق العاطفة ، بل وجدت طريقا آخرا و هو الهروب من الواقع و البحث في التاريخ عن الحلول.

وهذه تجربة هامة استهدفت الشعب الجزائري و الشباب لتذكيرهم بقيمة الوطن و ما قدمه الأجداد فداءا لهذا الوطن الغالي ، و بهذا فقد وقعت على سراج منير يستطيع أن يمشي فيه شبابنا بهدى العقل للوصول إلى بر الأمان .

وقد اتبعنا المنهج التاريخي الوصفي في دراستنا المتواضعة لهذا الموضوع الذي يظهر من خلال هيكل البحث ، واعتمادنا على التطبيقي أكثر من النظري في كلا الفصلين .

و هيكل البحث قد قسمناه إلى مقدمة فمدخل و فصلين ، و قد أتبعنا كل دراسة بجانب تطبيقي على الرواية .

تشمل المقدمة إحاطة عامة بإيجاز حول الموضوع .

و في المدخل تطرقنا إلى مدخل عام حول فن الرواية ، و أبرزنا علاقة الرواية بالتاريخ و علاقتها بالواقع ، فالرواية الجزائرية لها ظروفها الخاصة في النشأة من خلفيات ثقافية و سياسية و مؤثرات أدت إلى تأخرها في الظهور أو على الأقل وصفها بالضعف و التقهقر بالجزائر ، فذكرنا بعض الأسباب باختصار ثم وضعنا تعريفا مختصرا للرواية .

و في الفصل الأول الذي يحمل عنوان : تجليات التاريخ في رواية " **لونجة و الغول** " فالعنوان يمثل عتبة مهمة للولوج ما بين الأسطر و من خلال دراستنا لدلالة العنوان سرعان ما تبددت هذه التوقعات لأنه لا يلتقي مطلقا مع مضمون الرواية ، بل تناول حكاية عادية بطلتها مليكة .

وبعد ذلك درسنا هذا العنوان من خلال الأسطورة القديمة المنبعثة من الموروث الشعبي الجزائري.

فالرواية تحمل الكثير من الرمز بل هي مبنية على الرمزية و من هذا عرفنا الرمز تعريفا موجزا لا يتجاوز بعض السطور ، و بينا الرمزية التاريخية

في الرواية ، بعد ذلك تحدثنا عن مستوى أحداث الرواية من دراسة للشخصيات و الزمن المتغير و المكان و كذلك اللغة ، و تجلي الجانب التاريخي في كل عنصر من هذه العناصر .

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان : تجليات الواقع في رواية " **لونجة و الغول** " حيث بدأناه بتوضيح الواقع الاجتماعي و الفكري في الرواية الجزائرية ، منذ عصر الاستعمار إلى غاية ما بعد الاستقلال و ضرورة الالتزام و الواقعية عند الروائي الجزائري في ظل الراهن المضطرب ، في ظل الأزمات على المستوى السياسي في ظل حكم الحزب الواحد ، أو على المستوى الاقتصادي في ظل النظام الاشتراكي ، وما أدى من نتائج اجتماعية متدهورة و هذا ما خلق مشاكل على المستوى الثقافي و الفكري وكذا تولي الجبهة الإسلامية الحكم بعد الاستقلال ، وبعد ذلك انتقلنا إلى البحث عن الحلول عند الروائي الجزائري لتفادي أو مواجهة هذه الأزمات المتراكمة خاصة على المستوى الأدبي عند الأديبة الجزائرية **زهور ونيسي** ، التي اتجهت إلى التاريخ هروبا من الواقع و الدوافع التي أدت إلى هروبها من هذه التحولات على جميع الأصعدة إلى التاريخ بحثا عن الحلول .

ثم درسنا الرواية و رؤية الواقع عند الروائية في " **لونجة و الغول** " و ختمنا بأهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث المتواضع .

إن مثل هذا الموضوع يحتاج إلى الكثير من المراجع التي وجب الاعتماد عليها .

من الصعوبات التي واجهتنا بين الفينة و الأخرى ، عدم توفر بعض الكتب التي تساعدنا على إثراء البحث و التي حاولنا الحصول عليها من بعض الجامعات الأخرى و لم نستطع ذلك لعدة أسباب ، و بكثير من العزيمة و الصبر استطعنا

بتوفيق من الله الحصول على العديد من العناوين التي تمكنا من خلالها كسر حاجز قلة المادة العلمية .

و في الأخير نأمل أن يجد هذا البحث المتواضع إجابة عن بعض الأسئلة التي يصادفها الطالب ، و أن يكون بداية لغيرنا لمعالجة مثل هذه الدراسات .

نرجو من الله أن يكون البحث أول طريق لمسيرة أدبية لن تتوقف .

المـــــدخل

- 1- مدخل عام حول فن الرواية
- 2- ظروف نشأتها في الجزائر
- 3- أسباب تأخر ظهورها في الجزائر
- 4- الأديبة زهور ونيسي في سطور.

منذ القديم و منذ أن خلق الله الإنسان و هو يكد و يجد ليحصل على العلم الوفير لينير عقله و دروب حياته للولوج إلى أسراره ، و معرفة حقائق الإبداع و الابتكار ، و للعلم فوائد جمى ، و نجد نوعين من العلوم ، العلوم الكونية و العلوم الفنية أو ما يسمى بالأدب ، فالأدب تاريخ حافل بالفنون الجميلة التي أبدع و برع فيها كتاب و أدباء أيما إبداع للسمو و الرقي بها و الوصول إلى أعلى الدرجات و المراتب الفكرية و الفنية ، و من ضمن هذه الفنون نجد في الطبيعة فن الرواية و إن كان العرب قديما ربوا ذوقهم على الشعر ، فإن الرواية تعتبر ديوان العرب حديثا ، و هي الفن الغالب لدى كثير من الكتاب ، بالإضافة إلى منافستها للمسرح و السينما و التلفزيون .

إنها من أهم قنوات التواصل المعرفي ، و لها طاقة تعبيرية هائلة تفوق الشعر أحيانا ، و قدرة فائقة في تمثيل المرجعيات الثقافية النفسية و الاجتماعية و التاريخية .

و هو أمر فاق قدرة الأنواع الأدبية المعاصرة لها ، و تعد من أكبر الأنواع القصصية على الإطلاق ، إلى درجة يمكن القول أن عصرنا هذا هو عصر الرواية .

I- مفهوم الرواية :

أ- لغة :

روى ، في اللغة لها معان كثيرة تدور معظمها حول الشرب و الارتواء من الظمأ و العطش ، و تستعمل في غير ذلك من المعاني مثل : روى ريا و روى رواية فالأولى تورد بمعنى الارتواء من الظمأ و الثانية تورد بمعنى حمل و نقل ومن روى ريا قولنا : رويت للقوم و أروي لهم ، و تسمى الدابة التي يحمل عليها الماء الرواية . (1)

ب- إصطلاحا :

أكدت **مارط روبار** : <<بــ أن الرواية لم تحظ بتعريف دقيق ، و هي إلى حد ما غير قابلة للتعريف>> (2) . <<هذا و قد عللت رأيها بأن الرواية ذات حرية شاملة في مادتها و أساليبها و هو ما يجعلها مستعصية على التقعيد>> (3) .

و التعريف البسيط للرواية أنها مجموعة من الجمل التي تكون وحدة دلالية و التي تكون معنى ، و بذلك تكون نص يحمل مضمون معين .

هذا و يمكن تعريف الرواية من خلال مقوماتها الأساسية التي تكمن في الحبكة و مجال الأحداث و الأشخاص .

---

(1): المعجم ابن منظور : لسان العرب ، مادة روى .

(2): من كتابها roman des origénes (op. cit)p 16 نقلا عن الصادق قسومة : نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004م . ص 47 .

(3): فوزي الزملي في أطروحته ص 138 نقلا عن الصادق قسومة : نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004م . ص 47 .

فالحبكة تعتبر البناء الحكائي للرواية ، و مجال الأحداث يقصد به الحيز الزمكاني – الزمان و المكان – أما الأشخاص فهو مبنى أساسي في الرواية ، فلا يمكن كتابة رواية بدون شخوص . << فالرواية هي نتاج تخيل يكون نثرا ذا طول يصور شخصيات معينة تصويرا حركيا – و يقدمها – على أنها واقعية و يعرفنا بنفسياتها و مصائرها و مغامراتها >> (4)

كما تعرف الرواية في **معجم ليتري** << قصة مخاتلة مكتوبة نثرا يسعى فيها كاتبها إلى إذكاء الاهتمام بتصوير العواطف أو الأخلاق أو بغرابة المغامرات >> (5)

و هذا التعريف يؤدي أداة الرواية نثر و نوع مادتها (متخيل) و غايتها(إثارة الاهتمام) و محتواها الأحاسيس و المغامرات الغريبة ، و نجد الحاصل ذاته مع تغيير مواضع الكلمات في معاجم عديدة .

أما الرواية الجزائرية تبرز من خلال وظيفتها الأساسية التي ترتبط بالتاريخ الوطني الثورة الجزائرية و تميزها بالواقعية ، و الوعي السياسي الذي تميزت به الرواية العربية عموما ، و ذلك على إثارة التشابه التاريخي بينهما .

<< لم تكن الرواية إذا نوعا من الترف و المتعة الجمالية الخالصة بل كانت و مازالت فنا – على تباين مستواه – دورا نشطا في تحريك الأذهان و شحنها بالقيم و الأفكار تجاه الماضي و الواقع معا >>(6). مع تمجيد للثورة بأحداثها الحقيقية

---

(4): معجم روبار مادة roman نقلا عن الصادق قسومة : نشأة الجنس الرواني بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004م . ص 8 .

(5): Emile littré :Dictionnaire de la langue francaise pris et Callmard Huchette
نقلا عن الصادق قسومة : نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس، 2004م ص 44 .

(6): حلمي محمد القاعود : الرواية التاريخية في أدبنا الحديث ، دراسة تطبيقية ، دار العلم و الإيمان للنشر 2008م ، ص 17 .

بصدق و تفصيل فتعبر عن مآسي الشعب و بؤسه .

فـ<< تسهم الرواية إحدى أدوات تصوير التاريخ الأكثر تفصيلا و صدقا في استجلاء ما يحدث في التاريخ>> (7) ، فهذه هي الوظيفة الأولى للرواية الجزائرية خصوصا و العربية عموما .

(7): جورج لوكاش الرواية التاريخية (ترجمة صلاح جواد كاظم) ، المجلس الأعلى للثقافة 2005 م

الرواية التاريخ :

<< في البدء يجب أن ندرك أن الرواية التاريخية تنبني حكائيا على التاريخ و تقتات عليه و تشكل منه و تضيف عليه و تختزل منه و تتصرف فيه ، و لكنها ليست تاريخا >> (8) ، << يتوزع علم التاريخ و الرواية على موضوعين مختلفين يستنطق الأول الماضي و يسائل الثاني الحاضر و ينتهيان معا إلى عبرة و حكاية >> (9) .

<< كما أن الرواية التاريخية ليست إعادة كاتبة للتاريخ ، بل إعادة تدوين الماضي على نحو جمالي ، لا حيادي يركن إلى نص تاريخي تحسبه غير مكتمل فالتاريخ دال و الماضي مدلول و التاريخ هو رؤية المؤرخ >> (10) .

<< إن الرواية سيدة الألوان و الأجناس ، و هذه السيادة لا تنبع من حلولها في نفوس المتلقين فحسب ، ولا تنبع من تفوقها على الشعر في زماننا أيضا ، بل إن الرواية لون ما عاد يوقف نهمه لون آخر ، في مواقف كثيرة نهبت الرواية الشعر أدواته و تسلحت بسلاحه و سرقت متلقيه و رواده على حد السواء ، فالرواية نهلت من التاريخ نتائجه ، و حققت في مسلماته و أكملت ما سكت عنه التاريخ و صححت ما زيفه>> (11) << تأسس علم التاريخ على – الإنسان النوعي – الذي يسأل حاضره المكتشف ماضيه البعيد كما لو كانت رغبته لاكتشاف تحول الماضي إلى حاضر إبداعي جديد>>(12) و قد استفادت الرواية من نظريات علم الاجتماع و علم النفس و الانثربولوجيا و حللت و قيمت الكثير من الأشياء .

---

(8): نضال الشمالي : الرواية و التاريخ ، طبع بدعم وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، 2006م .ص 107 .

(9): فيصل دراج الرواية و تأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ط1 ، 2004م ص 107

(10) : نضال الشمالي : الرواية و التاريخ (المرجع السابق) ، ص 107 .

(11) : المرجع نفسه ، ص 108 .

كما أن الرواية رسمت للناس مستقبلهم و قربت البعيد ، و أفادت من فقرات الإعلام المتسارعة فأخبرت و استشرفت و تنبأت و أنقدت و قومت و حللت و حاكمت ، فكل ما في الحياة هو من اهتمامها فالنفس و المجتمع و المشاعر و التاريخ و الماضي و الحاضر في الحياة .<< و الرواية فن كتابة الحياة دون ممنوع و التاريخ من هته المعطيات ، و هو من أرفد الرواية و غذاها بمادة حكائية لا تنضب >> (13) .

تتأنق كثير من الدراسات في استهلاك مصطلح << الرواية التاريخية>> دون تأنق في إبراز مفرداته الدالة عليه و لا محدد أنه المسيطرة على أبعاده فعوله عجلى على توظيف الموظفين لهذا المصطلح تكشف عن تلك المرونة الهائلة التي اكتسبها المصطلح جراء تعدد استعمالاته ليس أقلها اعتبار أي رواية رواية تاريخية تندرج ضمن سياق تاريخي يعكس فترة حياتية محددة فالعودة إلى الماضي لا تنتج دائما رواية تاريخية ، إنها عودة مشروطة بمحددات ترسم هذا اللون السردي من الروايات .

لكي يتحدد حضور التاريخ في النص الروائي لابد من فاعل يقوم بذلك وهو عادة ما يكون الراوي أو البطل بوساطة سرد لأحداث محايثة لزمن الحكي والتاريخ وظيفة دلالية . فهو و إن كان معروفا في الرواية التاريخية ، فإنه في الرواية الحديثة يبدو خفيا أحيانا و مباشرا أحيانا أخرى ، و في كل الأحوال سيطرة الرواية على التاريخ .

---

(12): فيصل دراج : الرواية و تأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب الطبعة الأولى 2004م ص 10 .

(13): نضال الشمالي : الرواية و التاريخ ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006م ص 108 .

و تعتبر الثورة مرجعية هامة ينطق منها أغلب الروائيين الجزائريين فالروايات الثورية الجزائرية تشكل رصيدا فنيا لا بأس به من الإنتاج الروائي على امتداد فترة ما بعد الاستقلال و إلي غاية الثمانينات ، هذه الفترة التي برز فيها العديد من الروائيين الجدد ، و الذين أعتبر بعضهم الثورة منهلا خصبا لكتابته فأخذت الرواية منحى تاريخي ، فهنالك من الروائيين من أخذوا أفكار سياسية ذات منشأ تاريخي و أعادوا كتابتها مع إضافة رؤاهم و جمالية كتابتهم عليها و اعتبرت روايات تاريخية مرتبطة كل الارتباط بالمسار الوطني .

و هذا ما ميز الروائيين الجزائريين الذين أدخلوا النصوص التاريخية إلى فنهم و هذا يدل على قدرة و كفاءة هؤلاء .

و عليه فالرواية الجزائرية الجديدة قائمة على الرمزية و الواقعية و الوطنية و الخيال . يقول **الصادق قسومة** *: << عد التاريخ إطار الرواية و مصدر مادتها و مرجعية معناها >> (14) .

(*): جامعي باحث متخصص في الأدب الحديث ، تحصّل على شهادة التعمق في البحث ثم على دكتوراه دولة ، يضطلع منذ ما يزيد من عقد من الزمن بتدريس المناهج الحديثة في كلية الآداب بمنوبة ، نشرت له عدت بحوث و نصوص منها : " النزهة الذهنية في رواية الشحاذ 1992م " و " طرائق تحليل القصة " 2000م .

(14): الصادق قسومة : نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004م ص163 .

3- الرواية و الواقع :

الأدب أو الرواية ، التاريخ ، الأسطورة ، الواقع كلها كلمات متداخلة و متباينة في الوقت ذاته و تكون فيما بينها إشكالية نقدية شغلت كثيرا من الأدباء و النقاد فخصصوا لها مكانا متسعا من الدراسة و البحث ، و أكثر ما شغلهم علاقة الأدب بالواقع ، هل الأدب يعبر عن الواقع ؟

هل تظهر جمالية الأدب من خلال تعبيره عن المجتمع و الحياة الواقعية ؟ شكلا أم مضمونا ؟

يعرف الأدب على أنه نشاط فكري إنساني مأخوذ من المجتمع ووسيلة تعبيره هي اللغة التي يعتبر مصدرها الأول هو المجتمع ، و المجتمع متغير من زمن لآخر يخضع لتغيرات و تطورات فكرية و اجتماعية و سياسية ، لدى فمن المستحيل النظر إلى الظاهرة الأدبية بعيدا عن الظاهرات الأخرى .

أما فيما يخص الرواية تحديدا << فالرواية هي تعبير جمالي عن حياة الشعوب المختلفة في تباين رؤاها و شواغلها و طرائق عيشها >>(15) . هذا دون أن ننسى أن الرواية لا تقدم واقعا بالضرورة فلا يمكن أن تجتمع أدبية النص الروائي مع نقل الواقع نقلا أمينا حقيقيا ، و هنا يكون ما ينقله النص الروائي هو إيهام بالواقع فقط و ليس حقيقة واقعية فلا يمكننا أن نجعل نصا روائيا دليلا على فترة تاريخية معينة كالذي يقدمها صحافي أو مؤرخ ، أو عالم مهمته الأولى النقل الأمين و الصريح لأحداث واقعية ، و إذا طبقنا هذا النقل على الرواية ندخلها في التفاهة و بذلك تفقد جانبها الجمالي و الفني ، و ما يلاحظ على الرواية الجزائرية

(15) :الصادق قسومة نشأة الجنس الروائي بالعالم العربي الحديث ، مركز النشر الجامعي ، تونس 2000م . ص 15

في كتاباتها الروائية عن الثورة أنها اهتمت بالمضمون على حساب الشكل الذي نظرت إليه على أنه مجرد خادم للمضمون الذي كان خاضعا لأفكار الواقع الثوري فالرواية الجزائرية بجماليتها و ما تحمله من فنية لها صيغة الواقعية في مجرياتها .

الرواية الجزائرية ظروفها و مؤثراتها :

يعود الفضل في ظهور الرواية إلى الخلفية الثقافية و الأدبية .

- **الخلفية الثقافية :**

لقد جاء اندلاع الثورة الجزائرية نتيجة لعوامل عديدة من أهمها :
محاولة طمس الهوية الوطنية للشعب الجزائري و سلسلة المجازر الطويلة التي تعرض لها الشعب ، و هو يدافع عن كيانه و مبادئه و قيمه و من أولها لغته .

<<إن اللغة العربية خضعت لعملية تطور مشوهة ، و كان الاستعمار على رأس ذلك فمثلما حورب الشعب الجزائري كشعب و طالب بكرامته و حريته حوربت اللغة العربية كظاهرة اتصال و تواصل بين الناس مستهدفا إبادتها ، ففي ظل هذه الظروف كان لابد أن تنموا أعمال أدبية خجولة و محدودة جدا ، ساعدها في ذلك نمو الصراع المر الذي كانت تقوده مختلف الأحزاب و الجمعيات الدينية >> (16) .

<<إن البيئة الثقافية في الجزائر المستعمرة عانت من تعقيدات متعددة الأمر الذي جعل الحركة الأدبية تعاصر ظروفا صعبة و قاسية أعاقت انطلاقها و جمت قدرتها على الخلق و الإبداع و العطاء فإذا كان تطور الحركة الأدبية في المشرق و أقطار المغرب العربي عدا الجزائر طبيعيا ، فإن تطورها في الجزائر

(16) : واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986م ، ص 17.

كان محاطا بالمصاعب و التمزقات و الشذوذ ، فاللغة العربية لم تتح لها فرصة التطور الطبيعي ، إذا لم نقل أن فرنسا عملت بكل ما أوتيت أن تقتلع الجذور العربية من أرض الجزائر>> (17) .

و بالرغم من كل هذا لا يمكن أبدا التسليم بأن الجو الثقافي وصل مرحلة الاختناق و الضيق الشديدين فقد صاحبت كل الظروف الموضوعية بوادر تبشر بالخير ، فزيادة على الرجوع التدريجي للغة العربية إلى وضعها الأصلي ، فهناك النضالات التي قادتها كافة القوى الوطنية على الساحة السياسية و الثقافية و الاجتماعية و التي أسهمت و لو بقدر طفيف على خلق المناخ الصحي لتطور ثقافة وطنية ثورية ، أو على الأقل ظهور بذور ثقافية تقدمية بإمكانها مستقبلا و في ظل ظروف جديدة أن تلعب دورا حاسما في توجيه النهضة الأدبية في الجزائر .

و في خضم الثورة الوطنية الكبرى ، التي جمعت في صفوفها كافة الفعاليات الوطنية على اختلاف اتجاهاتها يمكن ثمة عدة روافد مختلفة تعاونت و تلاحقت فيما بينها لتعطينا الصورة الثقافية في الجزائر ،<< و طبعا فإن هذه المؤثرات المختلفة التي أدت إلى خلق جو ثقافي و فكري مغاير للمألوف ، لا يمكن بأي حال من الأحوال فصلها عن الخلفية السياسية التي أسهملت في بلورتها >> (18) .

---

(17) : الأدب الجزائري المعاصر ، المركز التجاري للإعلام ، بيروت ، 1975م ص 15 ، نقلا عن
(18) : واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986م ، ص 53.

الخلفية الأدبية :

لقد ساعد الأدباء الجزائريون الذين يكتبون باللغة العربية ظرف خاص ، زيادة على الأجواء الثورية التي فرضها عليهم الواقع كذات مستقلة عن وعيهم استفاد بعضهم من الكتابات الفرنسية التقدمية بكل إنجازاتها الفنية خصوصا ، و إن معظم كتابنا كانوا مطلعين بشكل جيد على اللغة الفرنسية .

<<و قد دخلت موضوعات جديدة على الأدب الجزائري أو لنقل على الأقل إن تناوله لها كان جديدا و خارجا عن المألوف ، و من هذه الموضوعات قضية المرأة التي غادرت البيت ووقفت بجانب الرجل مناضلة ثورية من أجل التحرر و الديمقراطية >> (19) . و كذلك مواضيع الروح الوطنية و الوعي الكبير و النقل لحقائق ووقائع الثورة الجزائرية بكل ما حملته من ألم و عذاب خص الشعب الجزائري ككل .

(19): المرجع السابق ، ص 56 .

ظهورها و أسباب تأخرها في الجزائر :

أ- ظهورها :

يعد نص (**غادة أم القرى**) الصادر سنة 1947 م فاتحة التأريخ لجنس الرواية في الجزائر ، رغم أن البعض يعود بهذا التاريخ قرن كامل إلى الوراء و تحديدا لسنة 1847 م مع صدور نص (**حكاية العشاق في الحب و الاشتياق**) لمؤلفها الجزائري – **محمد بن براهيم** – الذي يعتبرها بعض النقاد الجزائريين أول نص روائي جزائري و عربي .

و نجد بعدها محاولة – **رضا حوحو** – بالضبط سنة 1951 م محاولة لعبد المجيد الشافعي بعنوان (**الطالب المنكوب**) و كتبت باللغة العربية .

و في سنة 1957 م ألف – نور الدين بوجدرة – رواية (**الحريق**) .

و تميزت المرحلة الثانية مرحلة الثلاثينيات بأكثر من الأولى و من تلك المحاولات إلا أنها تميزت بكثير من الضعف الفني و من السذاجة ، فهي تفتقر للشروط الفنية التي يقتضيها جنس الرواية نظرا للظروف الاجتماعية و التاريخية آنذاك .

و مع بداية الثورة ضد الاستعمار الفرنسي الغاشم ، و بداية نمو الحس الوطني و الوعي السياسي و التوحد الذي أجمع كل الجزائريين ضمن اتجاه واحد و أول رواية عربية جزائرية ملفتة للانتباه كانت سنة 1971 م لعبد الحميد بن هدوقة تحت عنوان (**ريح الجنوب**) تلتها في 1972 م أعمال روائية أخرى مثل ما كتبه الطاهر وطار في رواية (**اللاز**) ، في 1974 م رواية (**الزلزال**) و غيرها . و تميزت هذه الروايات بالواقعية حتى كاد يطغى على الإتجاهات

الأخرى نظرا للظروف و التحولات ، فالواقعية أكثر ملائمة في تلك الفترة للروايات العربية عامة و الجزائرية على وجه الخصوص .

و بعد التحول و ظهور الكتابات الأولى للرواية الجزائرية حدثت ضجة في العالم العربي ، فالتفتت الأنظار إلى الرواية العربية الجزائرية لما تحمله من فنية و إبداع و صدق ، و ظهورها كنتيجة للظروف التي مر بها المجتمع الجزائري خلال الثورة ، و كذا بعد الاستقلال و كذلك لما حملته من عكس للواقع الجزائري المعاش أثناء هذه الفترة .

و بعد الاستقلال و مع التحولات على جميع المستويات في الجزائر سواء على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي ، أحدث تحولا على مستوى الرواية الجزائرية ، فظهر في هذه الفترة جيل السبعينات أو (**الفرسان الجدد**) كما يسمون أنفسهم ، هذا الجيل تشبع بالثقافات العربية و العالمية و تمتع بجميع فرص الثقافة و التحصيل العلمي و كذا ما حمله من وعي وطني و ثوري و مبادئ وطنية فراح هذا الجيل يعالج الرواية بطرق و أدوات فنية جمالية << و الحديث عن رواية السبعينيات لا يتم إلا من خلال ثلاثية هي الثورة و التاريخ أو الذاكرة و الثورة الأسطورة و بينهما الواقع الذي يتغذى منهما >> .

و من أسباب تأخر الرواية المكتوبة باللغة العربية اتجاه الكثير من الأدباء إلى الكتابة باللغة الفرنسية مثل **محمد ديب في ثلاثيته** ، و كذلك آسيا جبار و **كاتب ياسين** (نجمة) و مالك حداد و غيرهم ، و قد استطاعت هذه الأعمال الإبداعية إيصال صورة تعبيرية عن الجزائر إلى العالم الخارجي ، فقاموا و حاربوا المستعمر بلغته و اتخذوها سلاحا ضده ، ومع ذلك الوعي الوطني والسياسي و النضال بلغة المستعمر ، فقد أخر ذلك من ظهور الرواة العربية و ذلك باتجاه العديد من المثقفين نحو الكتابة بالفرنسية . مع أن هذه الإشكالية لم تطرح نظرا

لظروف المرحلة ، ولكن مع انتهاء الاستعمار و القضاء عليه لم تنته الكتابة عن الثورة ، و كأنهم و دون شعور أو بادرة إحساس عوضوا النقص الذي أصاب الرواية أثناء الثورة بكتابات رائعة و غاية في الجمال و بأسلوب متأنق ، و مجددة لثورتنا العظيمة سواء في السبعينيات أو في الثمانينيات أو التسعينيات ، و تستمر إلى نهاية العالم و الإنسانية .

أسباب تأخر ظهور الرواية :

1- الدور السلبي للاستعمار الفرنسي :

إذا كان هناك تطور فكري عرفته أقطار المشرق العربي خلال النصف الأول من القرن العشرين ، و افتقدته الجزائر خلال نفس الفترة فإن مرد ذلك في الأساس يعود إلى طبيعة الاستعمار الذي عرفته الجزائر ، و المغاير تمام المغايرة لما عرفته باقي الأقطار العربية ، فقد بقيت تلك الأقطار – رغم الاستعمار – نواة دولة مركزية تمثل وجودا فعليا ضعيفا و متهالكا و عميلا في الكثير من الأحيان و لكنه حفظ الحد الأدنى من واجبات الدولة تجاه المجتمع الذي يضمن حدا من الحراك الفكري و السياسي ، و هذا الأمر يختلف تماما على ما حصل في الجزائر التي زال فيها كل وجود للدولة الوطنية ، كما حورب الشعب في كل مقوماته و صار التعليم باللغة الوطنية جريمة ، مع غياب مؤسسات التعليم بالمفهوم المتعارف عليه ، بالإضافة لتفتيت المجتمع و محاولة القضاء على البنيات القبيلة التي كانت سائدة قبل الاستعمار ، و في ظل هذه الظروف يصير أي كلام عن الإبداع الأدبي و الفكري من ترف القول ، و البحث عن ميلاد جنس أدبي حديث و حداثي في ظل تلك الظروف يندرج ضمن هذا الترف الفكري الذي لا يلتقي مع الواقع المعاش في الجزائر المستعمرة ، و ما ولادة الرواية الجزائرية باللغة الفرنسية و غيابها باللغة العربية ، إلا ميلاد استثنائي كان نتيجة ظروف استثنائية عاشها أفراد استثنائيين تمكنوا من ولوج المدرسة الفرنسية و الاحتكاك بالثقافة و الفكر الغربي ، كان نتيجة إنتاج إبداعي في جنس الرواية يوظف اللغة الفرنسية كوسيلة توصيل و تعبير عن هموم الإنسان الجزائري .

2- إنعدام نماذج روائية جزائرية بالعربية يمكن تقليدها و النسج على منوالها .

3- صعوبة فن الرواية لأنه يحتاج و أنات و تأمل طويل .

4- عدم توفر اللغة الطبيعية المرنة التي تصور البيئة الكاملة في الرواية و ذلك نتيجة هيمنة اللغة الإصلاحية ة الخطابية التي أرسلتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر برامجها التعليمية . (20)

(20) : من الموقع الالكتروني : www.eljoud.com

الأديبة زهور ونيسي في سطور :

عربية الفكر و اللسان : للدكتور : **عبد الله الركيبي**

<< و الله إن الأخت الفاضلة **زهور** أعرف من أن تعرف ، و علاقتي بها تمتد إلى بداية الستينات ، حين ارتبطنا في عالم الكتابة سويا ، و كنا نكتب في مجلة الجيش ، و كنت أقرأ لها و أتابع ما تكتب إلى يومنا هذا .

و ألاحظ أن لها خطا متواصلا ، بدأته بالإصلاح و التربية و المجتمع و لا تزال تواصل هذا الخط الوطني العروبي الإسلامي ، إنها رائدة من رائدات الأدب و الثقافة في بلادنا ، و تستحق كل هذا القدر من الحب و التكريم و التقدير>> (21) .

اسم على مسمى : للأستاذة : **رابح خدوسي**

<< **زهور ونيسي** مفخرة من مفاخر الجزائر ، و مثال للمرأة العربية المثقفة فهي اسم على مسمى إنها زهور ، و كل زهرة منها تفوح عطرا و نسيما و شذى زكيا طيبا زهرة عربية و أخرى مناضلة و أخرى كاتبة و أخرى وزيرة>> (22) .

المرأة التي اختارت الوطن ...... فاختارها التاريخ (23) .

---

(21) : عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 81 .
(22): المرجع نفسه ، ص 82 .
(23): المرجع نفسه ، ص 84 .

زهور ونيسي ، من مواليد 1936 م بقسنطينة مجاهدة في ثورة التحرير الجزائرية تحمل وسام الاستحقاق الوطني ، تقلدت مناصب عليا ثقافية و إعلامية و اجتماعية و سياسية ، و معلوم أن **زهور ونيسي** من الوجوه السياسية لعهد الشاذلي بن جديد و هي أول امرأة جزائرية يعهد إليها بمنصب وزاري ، فتولت وزيرة للشؤون الاجتماعية في حكومة عبد الحميد براهيمي ، فوزيرة للتربية الوطنية في التعديل الوزاري 18 فبراير 1986 م ، شغلت أيضا منصب عضو بالمجلس الشعبي الوطني في الفترة من 1977 م إلى 1982 م ، تعود إلى الواجهة السياسية كعضو في مجلس الأمة غي ديسمبر 1997 م ، كما شاركت في تأسيس الإتحاد الوطني للنساء الجزائريات و أدارت مجلة المرأة العربية (24) . وسجل اسمها كاتبة مغربية في القاموس الأدبي النرويجي و الفرنسي ، و موسوعات أديبات عربيات في القرن العشرين ، و كانت أول امرأة جزائرية تستلم عدة حقائب وزارية ، و أول كاتبة في بلدها تحصل على جوائز و أوسمة عدة .

رصيدها الأدبي : الرصيف النائم (قصص 1967 م) ، على الشاطئ الآخر (قصص 1974 م) ، من يوميات مدرسة حرة (رواية 1978 م) ، لونجة و الغول (رواية 1993 م)، عجائز القمر (قصص 1996 م) ، روسيكادا (قصص 1999 م) .

---

(24): الرواية : زهور ونيسي : بقلم جمال فوغالي ، صدر هذا الكتاب بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 م ، ص 09 .

الفصل الأول

- 1- دلالة عنوان (لونجة و الغول)
- 2- (لونجة و الغول) الأسطورة – بين التاريخ و الراهن المحلي
- 3- رمزية (لونجة و الغول) في الرواية
- 4- مستوى أحداث الرواية
- 5- الشخصيات ، الزمن ، المكان ، اللغة

I- دلالة عنوان " لونجة و الغول "

1- تعريف العنوان :

أ- لغة :

لقد وردت تعاريف عدة لكلمة " عنوان " في مختلف المعاجم العربية و بناءا على ذلك ارتأينا إلى اختيار تعريف ابن منظور في معجم لسان العرب و الذي يقول : << العنوان و العِنوان سمة الكتاب و عَنونة عِنونة و عنوانا و عناه كلاهما وسمه بالعنوان ... و العنيان سمة الكتاب و قد عناه و أعناه و عنونت الكتاب و علونته >> (1) .

فللعنوان أهمية بالغة ، فمن خلاله يتسنى للقارئ المتلقي تكوين فكرة أولية عن النص ، فهو يعد بمثابة البوابة الأولى التي تدخل القارئ عالم النص إذ << أن أول عتبة يطأها الباحث السميولوجي هو استنطاق العنوان و استقراؤه بصريا و ألسنيا >> (2) .

و بهذا الشكل يعتبر العنوان عتبة مهمة يجب على الدارسين الوقوف عليها للغور و الولوج إلى مكنونات النص و سر أغواره .

هذا << و قد أولت السميوطيتا أهمية كبرى للعنوان باعتباره مصطلحا إجرائيا ناجعا في مقاربة النص الأدبي ، و مفتاحا أساسيا يتسلح به المحلل للولوج إلى أغوار النص العميقة قصد استنطاقها و تأويلها ، و هو مفتاح تقني يحس به السميولوجي نبض النص و تجاعيده و ترسباته البنيوية و تضاريسه التركيبية على المستويين الدلالي و الرمزي >> (3) .

(1): ابن منظور : لسان العرب ، م15 دار صادر بيروت الطبعة الأولى ، ص 106 .
(2): جميل جمداوي : السيميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 25 ، العدد 3 ص 97 .
(3): المرجع نفسه ص 96 .

فالعنوان أول ما يقرأ و آخر ما يكتب عادة من طرف المؤلف أو صاحب النص فحتى يعرف عمله الأدبي و يذيع صيته عليه أن يحسن اختيار عنوانه ، فهو لا يختاره عبثا فحسب ، بل هناك خلفيات و مرجعيات وجب الإستناد عليها في اختيار العنوان .

فهو قد لا يتعدى الكلمة الواحدة لكنه قد يعبر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة عن مضمون ذلك العمل الأدبي .

وهو يعد بمثابة الوسام الذي يحمل ذلك العمل ، و يؤدي دور المحفز و عنصر الجذب لدى القارئ حتى يزيده شغفا و شوقا و رغبة إلى الإطلاع على ذلك العمل الأدبي ، فهو أكثر شيء يرسخ في ذهن القارئ كما أنه أول ما يجادل فيه الناقد ، فهل هو من باب تسمية الكل بالجزء ؟ أو هو أول ما يقال في النص ؟ أو آخر ما يقال ؟ هل هو لفظ بعينه ؟ أو تلخيص المعنى ؟ كل هذه الأسئلة وجب الوقوف عندها .

و بذلك نجد الأديب يعمل دائما و جاهدا على أن يلهب لنصه عنوانا ذو قيمة دلالية .

(فبمجرد أن يضع الأديب العنوان ، يمتلك هذا الأخير سلطة غريبة يمارسها على النص و القارئ معا ، فبامتلاكه لمساحة الصفحة الأولى يؤدي دور الموجه الرئيس للنص ، و المحدد لنوع القراءة المناسبة له بحثا عن قصيدته و نوايا المبدع) *

و على سبيل المثال القارئ و هو يقرأ العنوان لأول مرة فهو قد ينتج دلالة ما عن ذلك العمل الأدبي ، و هي تختلف بدرجات متفاوتة عن تلك الدلالة التي

(*): نقلا عن : ذاكرة الزمن المتأزم بين الواقع و التخييل في الرواية الجزائرية العربية المعاصرة ، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي شعبة الأدب الحديث .
إعداد الباحثة : هند سعدوني ، تحت إشراف الدكتور : يحي الشيخ صالح
السنة الجامعية (2003م- 2004م) .

يخلص إليها عند فراغه من القراءة إنها شعرية العنوان و جماليته .

هذا و تنقسم العناوين انقسامات : فمنها ما يدل على اسم أعلام أو شخصيات أو حتى اسم مكان و ما لغير ذلك ، و الرواية التي نحن بصدد دراستها للكاتبة و الأديبة **زهور ونيسي** و التي تندرج تحت ما يعرف بعناوين تدل على (أسماء أعلام أو حيوانات) و الصادرة سنة 1993 م تحت عنوان " **لونجة و الغول** " و أول ما يتبادر للذهن و للبرهة الأولى عند قراءة العنوان أن أحداثها تسيطر عليها أجواء الحكاية الشعبية ، و التي مفادها أن امرأة جميلة اختطفها الغول ، أسكنها برجه العالي ، و أنجبت منه طفلة تشبهها و لا تشبهه في شيء و سنتطرق إلى هذه الحكاية بالتفصيل فيما بعد عند دراستنا للأسطورة .

و لكن في حقيقة الأمر سرعان ما تتبدد هذه التوقعات لأن القارئ لا يلتقي مع كل ما سبق ذكره ، و على حد تعبير **بوعلام العوفي** : << أن هذا النوع من المراوغة الفنية الجميلة في اختيار العناوين >> (4) .

و اختيار الكاتبة زهور ونيسي لهذا العنوان ، لم تسق إليه مجرد الصدفة و الغالب على الظن ، أن حوافز كثيرة دفعتها إليه .

و في دراسة لعمر بن قينة عن الرواية طرق باب التساؤل عن نوعية العلاقة بين عنوان الرواية و مضمونها ، فكلمة الغول لم ترد إلا في موضعين الأول منها وردت في المتن عند قول الأديبة << ها هي مليكة تتزوج بأسلوب بسيط جدا ، فهل هذا هو الزواج ؟ نعم في هذا الزمن الغول ، هذا هو الزواج و الواجبات و الحقوق معروفة عند الجميع >> (5) .

و في المرة الثانية وردت في الصفحة الأخيرة من الرواية و لونجة لم ترد كذلك

---

(4): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي : دراسات نقدية في أدبها ، بقلم بوعلام العوفي ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، ص 33 .

(5): زهور ونيسي : لونجة و الغول دار دحلب ، الجزائر ، ص 103 .

حتى غاية الصفحة نفسها (الأخيرة) مقرونة باسم الغول (مليكة أنت ملكة في مكان ما من الزمن ، أنت لست مليكة يا مليكة أنت لونجة بنت الغول ، أتدرين من هي لونجة بنت الغول ؟ تلك التي تحكي عنها جداتنا ، تلك الفتاة الجميلة ، التي لا يمكن أن يصل إليها أحد ، لأنها تسكن قصرا عظيما عالية أبراجه ، تناطح السحاب هو قصر الغول) (6) .

و عنوان " **لونجة و الغول** " ذا مدلول رمزي واضح سنعرضه فيما بعد بكل التفاصيل عند دراستنا للرمزية في الرواية .

<< فالعنوان ، مرجع يتضمن بداخله العلامة و الرمز و تكثيف المعنى بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته ، أي أنه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها نسيج النص ، و هذه النواة لا تكون مكتملة ، فهي تأتي كتساؤل يجيب عنها النص إجابة مؤقتة للمتلقي كإمكانية للإضافة و التأويل >> (7) .

و على هذا فعنوان مثل " **لونجة و الغول** " يحقق شكل من أشكال التناص بواسطة توظيف القصص الشعبي كخلفية تسمح للقارئ بتأويل العمل بعد قراءته .

و العنوان يرتبط عادة بالمتن الحكائي للرواية ، و من خلال عنوان (**لونجة و الغول**) يمكن لنا استخلاص تضاد مبدئي بين(لونجة ‡ الغول) فلونجة تمثل الجمال و البهاء و الصفاء ، و الغول يمثل بشاعة المنظر و القبح و يمكننا اختزال هذا فنخلص إلى(الجمال ‡ القبح)، و على حسب نهاية تلك القصة فإن الجمال هو الذي ينتصر لا محالة ، ففي نهاية المطاف الجمال هو الذي ينتصر و يتغلب على القبح ، و لخير على الشر .

---

(6): المصدر السابق ، ص 142 .

(7): جميل حمداوي : السميوطيقا و العنونة ، مجلة عالم الفكر ، المجلد 25 ، العدد 3 ، ص 109 .

و مما سبق لنا ذكره يمكن لنا أن نستخلص المربع السميائي الآتي و الذي يظهر لنا طبيعة الدلالة العميقة التي يطرحها العنوان و الذي قد يصبح (سندا لمشروعية ما لرمزية معينة) (8) . أطرافها الغول (الاستعمار) ، الأم (الجزائر) ، لونجة (الحرية) . و هذا ما ستأتي لنا فيما بعد عند دراسة الرمز .

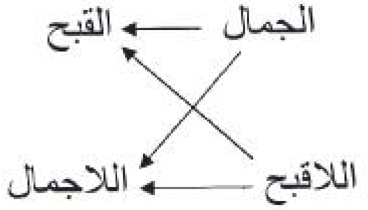

<< غير أن هذه الطاقة الدلالية الكامنة التي تضمرها بنية العنوان الدالة و التي تعمل على تحفيز عملية القراءة و تعمد إلى تحويلها ضمن البنية العميقة للنص الروائي ، سرعان ما تضمحل أمام إصرار الكاتبة على إجهاض بنية المدلول حيث نلقى السارد يقوم بالكشف عن هذا المستوى الدلالي بطريقة مباشرة سافرة تزيد من خيبة أمل القارئ الذي يصبر على القراءة آملا في الكشف عن بعد الرواية الدلالي بنفسه >> (9) .

و هذا ما تعبر عنه سمية شايب عن دراسة قامت بها حول رواية " **لونجة و الغول** " ، << العنوان كان المدخل الأول للرواية ، لذا كنا ننتظر أن تنحى منحى دلاليا غير ذلك ، الذي وقفنا عنده في الرواية ، فنجد أن الرواية وقفت في اختيار العنوان كرمز أسطوري محلي ، يحمل أكثر من دلالة ، من حيث الأحداث و الغاية ، و كذا القيمة التاريخية ، و يحمل جاذبية معينة للقارئ >> (10) .

(8): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، الطبعة الثانية 2009م ص ، 255 .
(9): نقلا عن حسان راشدي ، صيرورات الواقع و مسالك الكتابة الروائية ، 2002 م – 2003 م ص 383 .
(10): المرجع نفسه ، ص 383 .

و عليه استطاعت الأديبة **زهور ونيسي** أن تصنع من عنوانها رغبة لدى لقارئ لقراءة العمل الفني .

و في الأخير نعمد إلى أنه و من خلال دراستنا للرواية ، يتضح لنا أن الرواية اهتدت للعنوان بطريقة ارتجالية ، فحشرته حشرا كان من الممكن بناء ملحمة من خلال الفترات الزمنية المختارة ، و الظروف المكانية المحددة من طرف الكاتبة ، لكن القصة تتحرك في فتور نحو النهاية عبر شخصيتها المحورية – مليكة – التي لا نجد فيها ما يشد للتاريخ بقدر ما نرى أنها امرأة عادية من حي شعبي غير فاعلة تماما في الأداء التاريخي .

II- (لونجة و الغول) الأسطورة بين التاريخ و الراهن المحلي :

1- تعريف الأسطورة :

أ- لـــغة :

تذهب جل المعاجم العربية إلى تعريف الأسطورة <<على صيغة الجمع الأساطير الأباطيل ، و الأساطير أحاديث لا نظام لها واحتها إسطار و إسطارة بالكسر ، و إسطير و إسطيرة و أسطورة بالضم ، و قال قوم أساطير جمع أسطار و أسطارٌ جمع سطر >> (11).

و قال **أبو عبيدة** : جمع سطر على أسطر على أساطير

و قال **الليجاني** : واحد الأساطير أسطورة ، و أسطير و أسطيرة إلى العشرة ، قال : و يقال ، سَطرٌ و يجمع العشرة أسطارا ، ثم أساطير جمع الجمع و سطرها ألفها ، و سطر علينا ، أتانا بالأساطير . الليث : يقال سطر فلان علينا يسطر ، و في حديث الحسن : سأله الأشعب عن شيء من القرآن فقال له : و الله إنك ما تسطر على شيء أي ما تروج . و سطر يسطر ، إذا كتب ، قال الله تعالى: { ن و القلم و ما يسطرون } (12) ، أي ما تكتب الملائكة .

و يقال : سطر فلان على فلان أي زخرف له الأقاويل و نمقها ، و تلك الأساطير و السرر (13) .

ب- إصطلاحا :

لقد درس الكثير من الأدباء و علماء الاجتماع و علماء الميتولوجيا و الفلكلور و غيرهم ممن درسوا الأسطورة بشكل مباشر أو غير مباشر كل على حسب

---

(11): ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الرابع ، دار بيروت الطبعة الأولى .
(12): سورة القلم الآية " 1 " .
(13): ابن منظور : لسان العرب ، المجلد الرابع ، دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، 1990م .

اختصاصه و على الغالب توصل العديد إلى أنه لا ينبغي العبث بالأسطورة ووجوب المحافظة عليها كما هي دون تغيير أو تنميق أو حتى زيادة أو تصحيح ظنا منهم أنهم يؤدون لها خدمة جليلة في محاولة للمحافظة و الإحاطة بها فعرفها الكثير بأنها الحادثة القديمة المحفوفة بالمبالغات حتى الخرافات أحيانا .

و تفيد أيضا الأقاويل المنمقة و المجملة التي لا تمشي على نظام معين أو نظرية محددة .

و أحيانا أخرى يمكن اعتبارها أشبه بالكلام الباطل ، كما أنها تشمل جميع جوانب الحياة الإنسانية و غير ذلك ، << فنجدها في اللغة الفرنسية بمعنى الحادثة ، و ما لذلك من دلالة هذه الكلمة في اللغة العربية إن كل نظام مندرج تحت ضمن ثقافة تحكمه و تسيره ، و هذه الثقافة تبرز أو تختفي في خفايا الخطاب حتى بات هناك فعل جماعي واحد في مجموع نصوص خطاب ما محكوم عليه بالرفض بسبب انحرافه عن السلوك المثالي المنشود ، اكتسب هذا الانحراف بعد أن سقيا في نصوص الثقافة لا مناص من كشفه و محاكمته>> (14) .

و توجد في اللغة الانجليزية بمعنى التاريخ ، و حين عودتنا إلى وصف دراسة لهذه الكلمة في اللغة العربية نجد أنه (درجت كثير من الدراسات في هذا الصدد في عقد المقارنة المنطقية بين التاريخ و الرواية التاريخية للتفريق بين شيئين قضي الأمر بينهما باكرا .

<<و حاول نفر آخر من الدارسين التقريب بين الرواية التاريخية و الرواية الواقعية و كأن الروايتين لم ينبتا في تربة واحدة ، في البدء يجب أن ندرك أن

(14): نضال الشمالي : الرواية و التاريخ ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006م ص 193 .

الرواية التاريخية تنبني حكائيا على التاريخ و تقتات عليه و تتشكل منه و تختزل منه ، و تتصرف فيه ، و لكأنها ليست تاريخا لانصراف كل لون بما يسر له إلى مهامه المتفق عليها أصلا>> (15) .

كما أن الرواية التاريخية ليست إعادة كتابة للتاريخ ، بل إعادة تدوين الماضي على نحو جمالي لا حيادي يركن إلى نص تاريخي تحسبه غير مكتمل فالتاريخ (دال) و الماضي (مدلول) ، و التاريخ هو رؤية المؤرخ ، أما الماضي فهو ما أستتر على انتباه المؤرخ فكتبه تاريخا ، و غلب لب الرواية فكتبه رواية بعد أن ثبت و قر في أذهان الناس ، ثم سارع هذا الأخير إلى استيضاح معالمه أو محاكمته أو تلخيصه أو تصويبه أو اتهامه أو استحضاره إنه الاستشراق لا ريب ، سواء أكان هذا نحو الأمام أم للخلف ؟ إن الرواية هي استثمار للتاريخ << إن الانصراف إلى القول بأن الرواية التاريخية جسد منفصل عن التاريخ قول مقضي لا يجب الوقوف عنده>> (16) .

و قد وردت تعاريف أخرى للأسطورة تحت كلمة خبر تاريخي أو حكاية تاريخية بالغت فيها المخيلة الشعبية ، و الأسطورة تشير إلى مجموع قصص الأقدمين باعتبارها الجزء القولي لطفولتهم الدينية أم هي تعبير عن أشكال الإيمان المختلفة ، أو أنها أداة الكتابة الخلاقة أو الكتابة الرمزية من أمور طبيعية و ميتافيزقية .

و يذهب الدكتور **أنس داود** إلى القول بأن : << ما يستريح له الباحث هو أن لكل شعب أساطيره ، كما أن له حياته و تاريخه ووجوده الخاص ، و أن تشابه كثير من عناصر هذه الأساطير هو نتيجة طبيعية لتشابه المرحلة التاريخية

---

(15): نضال الشمالي : الرواية و التاريخ ، عالم الكتب الحديثة للنشر و التوزيع ، الأردن ، 2006م ص 107 .

(16): المرجع نفسه ، ص 108 .

المكونات البيئية ، و القدرات الشعبية المتقاربة في نشوء الجماعات الإنسانية حيث لا يوجد التمايز و الخصائص المتفردة إلا من التقدم الحضاري >> (17) .

و من ثم كانت تعريفات الأسطورة الأقرب إلى الحقيقة هي تلك التي تعود بنا إلى البدايات الأولى لها ، نشأت في حالة انفعال للإنسان في لحظة ما و في مكان ما من الأرض ، و لهذا نجد الاختلاف على حسب ظروفها ومجالاتها التي أنتجت لأجلها .

كما عرفها عدد كبير من المحدثين على أنها الفكرة المبهمة أو (الكذبة) أو (الخطأ) و بعضهم عرفها على أنها (نوع من الكلام) ، فكل شيء يصبح أسطورة بغرض التعبير عنه عن طريق الحوار ، لا تعرف الأسطورة بموضوع إبلاغها و لكن بالطريقة التي تلفظ بها هذه الحكاية أو الكلام .

و يتمثل السبب الرئيسي في اللجوء إلى الأسطورة طابعها الخالد و بقائها على مر الزمن ، بشرط أن الالتجاء إلى الأسطورة يفترض البناء على مادة موجودة سلفا و تتحمل إمكانية التجديد ، إما في تفسير بعض الظواهر أو في إعطاء معنى مختلف لتلك الأسطورة ، و عليه كانت الأسطورة و لا تزال الرافد و المنبع الصافي لأكثر ثراء للكتابة الأدبية و الروائية بشكل خاص .

و من ضمن الروايات التي لجأ فيها الكتاب إلى تضمين الأسطورة رواية " **لونجة و الغول** " للأديبة و الروائية **زهور ونيسي** ، كما أشرنا إليه سابقا << فإن أول ما يشد المتلقي في هذه الرواية هو عنوانها الذي ينبعث من الثقافة الشعبية المحلية و المحمل بمعان كثيرة ، يحسن الوقوف عندها>> (18) .

---

(17): أنس داود : الأسطورة في الشعر العربي الحديث ،دار العلوم للطباعة و النشر ، ص 37 .
(18): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي : دراسات نقدية في أدبها ، بقلم سمية شايب ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 55 .

<< و **لونجة و الغول** إثبات روائي ، بانقلاب الأسطورة إلى صناعة تستعير مادتها من الموروث الأسطوري المحلي>> (19) .

و لهذا حكاية طريفة في الموروث الشعبي الجزائري تحكيها الجدات عن تلك الفتاة الجميلة التي لا يمكن أن يصل إليها أحد ، لأنها تسكن قصرا عاليا أبراجه تناطح السحاب هو قصر الغول ، و لكن كيف تكون جميلة و هي ابنة الغول ؟

يقال بأن الغول قد سرق أمها في يوم من الأيام على جواد أبيض له جناحان يطير و لا يسير كسائر الجياد ، و تزوجها غصبا عنها ، و لأنه تزوجها دون رضاها فقد وضعت له ابنة جميلة مثلها و لا تشبهه في شيء ، و هناك اختلاف في سرد هذه الحكاية الموروثة ، فيروى أن لونجة فتاة فائقة الجمال ، شعرها طويل و ذهبي ، تتوجه نحو نبع الماء ذات صباح لتجلب الماء ، وقبل أن تغادر تلمح غريبا قادما على فرسه نحو النبع فتتسلق الشجرة لتختبئ و لكن الغريب حيث يشرب حصانه من النبع تلتف شعرة من شعرة لونجة على لسانه فيتضايق الحصان ، فيدنو منه و يتفحصه ، فيكتشف الشعرة و تعجبه و يتخيل صاحبتها ذات جمال و حسن ، فيبحث عنها و يجدها و يختطفها و يأخذها معه إلى حصنه لتكتشف أن هذا الغريب هو الغول نفسه ، و عند اكتشافها ذلك ترفض العيش معه فيتزوجها غصبا عنها و تنجب له ابنة في مثل حسنها و تموت عند ولادتها و من ذلك نجد أن لونجة تتعدد على شكل ابنتها فهي لا تموت .

فعنوان " **لونجة و الغول** " يحيلنا على أسطورة تراثية شعبية لا على رواية تاريخية .

---

(19): المرجع نفسه ، ص 58 .

و عند قراءتنا للرواية كلها ندرك أن البناء الأسطوري للرواية يزيد من جماليتها ، و حتى اللغة التي ارتكزت عليها الروائية لأنها لم تخرج من هذه الأجواء الغريبة التي لا تصدق و لكنها مقنعة لأنها مستوحاة من روح الشعب و تقاليده و حكاياته الشعبية المنتشرة .

فاللغة البسيطة المفهومة و المأخوذة من كلام الناس العادي لا تقوم بالإساءة إلى العمل الأدبي ، و لكنها تعمل على تقريبه من الجماهير الشعبية فتحصل بذلك على قراء من الشعب العادي . فمن خلال بنائها الأسطوري للرواية توصلت الأديبة إلى علاقة ربطت روايتها بشكل أكبر من الجماهير .

فالجمالية الحقيقية في رواية **زهور ونيسي** ، تكمن في اقترابها من فكر و فهم الجماهير للعمل الفني .

كما أنه و باختلاف أساطير **لونجة و الغول** ، و تعدد الروايات قد فتح مجالا واسعا فنية و قدرة الأديبة على استيعابه ذلك لكسب قراء أكثر .

فالأديب الحقيقي هو من له استطاعة تحويل أي شيء إلى عمل أسطوري ثوري أقرب إلى تذوق و استيعاب الجماهير ، و هذا يعطي نوع من التجديد و الأصالة و الخلود للرواية .

فأفاق التطور مفتوحة للرواية الجزائرية " **لونجة و الغول** " بشكل أوسع لأنها استطاعت أن تجمع بين أشياء يصعب على الأديب المتواضع أن يجمع بينها جمعت بين الحلو و المر ، بين الحقيقة و الواقع و الخيال ، و بين الجمال و القبح ففي تلك الفترة كان من الصعب الكتابة بهذا الشكل الأدبي إذ أننا نجد محاولات بسيطة و محتشمة .

و ساعدها في ذلك الصراع الذي كانت تقوده مختلف الحركات و الجمعيات فهي أخذت الواقع من الواقع ووضعته في التاريخ بشكل أسطوري ، فهي لم تورد

الأحداث السياسية و التاريخية هكذا فحسب بل لأنها لها علاقة مباشرة في التناقضات التي عاشتها الأديبة ، و التي عايشها المجتمع الجزائري ، و من خلال معرفتنا لهذه الوقائع و هذه الحروب السياسية نستطيع فهم ما تشير إليه الأديبة من خلال رواياتها ، فالأدب بهذا المعنى و من خلال هذه الظروف و الملابسات نفهم بأنه شكل فني إبداعي ضمن سياق تاريخي لتطور مختلف الظواهر كما أنه هروب متفاعل إلى تاريخ الثورة و أسطورة الحكاية ، حيث تقول **زهور ونيسي** في نهاية الرواية : << هذه الفتاة هي أنت يا مليكة فعوا بل هي لونجة ، مليكة أو لونجة ، كلاهما واحد يا مليكة تتكرران في الزمان و المكان ، و تولدان كل مرة من رحم العذاب و الجمال لتدخلا كل مرة عالم الخلود ، و تبقى للعاشق نوارة يسقيها في كل لحظة ، يسقيها بماء الحب و عطر الحياة ، نوارة لا تذبل أبدا و لا قدرة لأحد على قطفها من جديد ... إنها هذه المرة سقيت بشلالات مرجانية تجمعت من كيد الزمن العصي >> (20) .

و من خلال قراءتنا للرواية نخلص إلى أنه لا وجود لوجه الشبه بين ما سردته الكاتبة و بين الأسطورة ، فالقارئ في حقيقة الأمر عند قارءته للرواية إلى أنها تروي حياة إحدى الأسر الفقيرة في فترة المخاض التي عاشتها الجزائر و عايشها شعبها .

---

(20): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، ص 142 .

III- رمزية لونجة و الغول في الرواية :

مفهوم الرمز :

أ- **لغة :** ورد في لسان العرب **لابن منظور** : << رمز : تصويب خفي باللسان كالهمس و يكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت ، إنما هو إشارة بالشفتين ، و قيل الرمز إشارة و إيماء بالعينين و الحاجبين و الشفتين و الفم ، و الرمز في اللغة كل ما أشرت إليه مما يبان بلفظ بأي شيء أشرت إليه بيد أو بعين ... ، و رمزتة المرأة بعينها ترمزه : رمزا غمزته >> (21) .

و في القرآن الكريم قوله تعالى : { قال ربي اجعل لي آية ، قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا } (22) . أي أنه لا يكلم الناس ، إلا عن طريق الإيماء و الإشارة و الرمز .

ب- **إصطلاحا :** إن مصطلح الرمز كغيره من المصطلحات تعددت مفاهيمه و اختلفت مناهج و آراء الباحثين و الدارسين في تحديد ماهيته فكل تناوله حسب زاوية تخصصه ، لذلك فإننا سنعرض مجموعة من المفاهيم لمختلف الباحثين :

لمفاهيم الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية " .

فأرسطو يعرفه كما يلي : << إن الكلمات رموز لمعاني الأشياء أي رموز>> و يقول أيضا :<< الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس ، و الكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة >> .

(21): ابن منظور : لسان العرب ، ج6 ، مادة رمز ، دار صادر ، بيروت ، ص 222 - 223 .
(22): سورة " آل عمران " الآية 41 .

أما **فرويد** فيقول : << قيمة الرمز بمدى دلالته على الرغبات المكتوبة في اللاشعور نتيجة الرقابة الاجتماعية الأخلاقية >>

و في معجم اللغة الفرنسية :<< الرمز هو الربط بين إشارة ترتبط بالموضوع الذي تريد الكشف عن فكرته >> .

نلاحظ أن المفهوم الأول يدور حول الدلالة و المشابهة القائمة بين عنصر ينتمي إلى عالم المحسوسات و آخر ينتمي إلى عالم المجردات ، و هنا الرمز بمثابة واسطة ، أي يحيل من خلاله المحسوس إلى المجرد ، أما فرويد فنجده يبرز الرمز كنتيجة للضغوطات الاجتماعية و الأخلاقية التي يمارسها المحيط على الفرد .

يقول **غوته** :<< ليس المعنى الكلي مجموعا لجزئيات متناثرة في العمل الأدبي و إنما الأفق الأخير الذي تنتهي إليه الدلالات اللغوية في السياق >> .

غوته يشبه العمل بالبساطة المنمق بالألوان و الأشكال ، يتوهم المرء قد يصل إلى سره إذا هو مد البساط ، و لكن هيهات فذلك مستحيل لأن هناك رابطة روحية لا يظهر أثرها إلا في كلية العمل و خيوط البساطة المفككة لا تعني و لا تعكس شيئا عن البساطة ، فتفكيك الرموز و قراءة دلالاتها هو بمثابة الوقوف على الرابطة الروحية التي تؤلف بين هذه الأجزاء .

و في الأخير يمكن القول بأن :<< الرموز كثيرا ما تكون مشحونة بمعاني و مدلولات الوظائف الإشارية أي لا نستطيع أن نعتبر الرمز رمزا إلا عندما يكون مصحوبا بالمعنى خاضعا له ، فأحيانا نستجيب للرمز دون وعي منا ونجد أنفسنا نميل لأنه يشير إلى نفسه و حوله العديد من الإيحاءات متبادلة التأثير التي يعتمد بعضها على بعض ، و هكذا توحي صورة بصورة أخرى

مواقف بمواقف أخرى و إيقاع يذكرنا بإيقاع آخر >> (23) .

لقد عرفت الجزائر عدت تحولات : تاريخية ، اجتماعية ، سياسية اقتصادية ، و لاسيما ثقافية خاصة على الصعيد الأدبي بحيث شهدت الساحة الأدبية محاولات جادة في مجال الرواية ، خاصة مع مطلع السبعينيات ، بحيث الأجواء و الأوضاع السائدة في المجتمع و ما آل إليه هذا الأخير بعدما خرب و دمر و هدم من طرف المستعمر ، و بعد الاستقلال عرف الأدب انتعاشا بحيث حظيت الرواية باهتمام العديد من الكتاب و الروائيين ولمعت أقلام جزئية في هذا المجال و هي غنية عن التعريف ...

وقد انصبت انشغالات هؤلاء حول المجتمع الجزائري و مكانة المرأة الجزائرية في المجتمع حول مصير المجاهد الجزائري ، حول أبناء و أرامل الشهداء ، حول الثورة الجزائرية بصفة عامة ، و أغلب الكتابات اشتركت في المواضيع نفسها و لكن اختلفت في طريقة أو كيفية معالجة هذه المواضيع ولعل هذا<< ما أدى بنا كقراء إلى الوقوف على الكتابة الروائية في الجزائر و مكانة الرمز عند هؤلاء ومظاهر توظيفه عندهم >> (24) .

إن الرمز تجسيد لما في حياتنا كلها من أشياء ملموسة و معنوية مجردة و من هناك جاءت خصبة و إمكانياته الواسعة اللامحدودة ، و هو أداة عظيمة لوصول إلى المعاني و الإحساسات و الهواجس التي تعجز اللغة التقريرية المباشرة على إدراكها و إخراجها إلى دائرة النور ، بما أنه لا توجد مواصفات معينة للرمز ، لذلك فالأدب لن يفتقد إمكانيات التعبير لأنها لا نهائية ، و عليه فمن الملاحظ أنه لا يكاد يخلو ديوان شاعر من تضمين للأسطورة سواء أكان هذا

(23): جعفر يايوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، مطبعة وهران 2006م ، ص 135 .
(24): بشير بوجريو محمد : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 101 – 102 .

التضمين على شكل رمز أو صور استعارية ، غير أننا نلحظ أن هذا التضمين لا يخص الشعر و حسب بل يتعدى ذلك إلى مجالات أوسع ، و من ذلك فن الرواية حيث يسعى الأديب أن يجعل من عمله الأدبي ذو قيمة دلالية و أبعاد رمزية و فنية ، و يلجأ إلى تضمين الرمز حتى يزيد من جمالية عمله الأدبي و تأنق أسلوبه و يزيد من لهف و شوق القارئ إلى قراءته ، و في خضم كل هذه الأعمال نجد العمل الروائي الذي نحن بصدد دراسته للروائية **زهور ونيسي** و الذي يندرج تحت عنوان **" لونجة و الغول "** كما أشرنا إليه سابقا عند دراستنا للعنوان << بأنه ذا مدلول رمزي واضح >> (25) .

فالغول هو رمز للاستعمار الفرنسي الظالم الغاشم ، بكل جبروته و قسوته و تسلطه ، و لونجة التي يظل القارئ يجهلها حتى الصفحة الأخيرة هي رمز لثورة التحرير المجيدة (1954 – 1962) و جسدتها الروائية في شخصية مليكة .

مليكة رمز لفتاة جزائرية ، و هي تمثل الجزائر ، الوطن ، الثورة ، و هي بذلك رمز للخصب و النماء ، و نوارة ابنتها هي الجزائر بعد الاستقلال ، و هي رمز للحرية و الاستقلال ، و من هنا تصبح لونجة هي مليكة ، هي نوارة هي الجزائر هي الحاضر و الماضي و المستقبل .

و قد جعلت الكاتبة لشخصياتها أبعادا رمزية ، فقد جسدت جبروت المستعمر الفرنسي الميسيو جاك صاحب مراكز الصيد في (باب ذزيرة) ، و إن كان هذا الأخير قد بدا خاليا من كل وجود فعلي ذاتي بسبب محتوياته الرمزية . و شخصية كمال رمز للاستمرار ، و هو رمز لاستمرار الثورة و خلودها و هو

---

(25): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي ، دراسات نقدية في أدبها ، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007 م ، ص 17 .

امتداد لشخصية أحمد ، و هذا استنادا إلى ما قاله رولان بارث :

<< إن كلمة النص تعني النسيج ، و لكن بينما اعتبر النسيج دائما ، و إلى الآن على أنه نتاج و ستار جاهز يكمن خلفه المعنى (الحقيقة) و يختفي بهذا القدر أو ذاك فإننا الآن نشدد داخل النسيج على الفكرة التوليدية التي ترى إلى النص يصنع ذاته و يعتمد ما في ذاته عبر تشابك دائم >> (26) .

و قد رمزت للقارة السمراء بالفتاة البكر ، و لكنها في حقيقة الأمر مغتصبة حتى العمق و مداسة الأقدام و هي بذلك لرمز لفتاة تفقد بكارتها ، فهذه القارة تعاني من قسوة المستعمر و جبروته ، و نهب و سلب لخيراتها و ثرواتها ، فالجزائر عانت و ضاقت ذرعا بقسوة هذا الظالم الغاشم .

و إذا كان << الرمز كالبذرة ينمو و يتطور على حد تعبير الدكتور إحسان عباس >> (27) ، فالكاتبة **زهور ونيسي** لم تعمد إلى ذلك بل كشفت عنه دفعة واحدة و كان ذلك في الفقرة الأخيرة من الرواية حين يتخذ الرمز بعدا إيجابيا << هذه الفتاة هي أنت يا مليكة ، عفوا بل هي لونجة ، مليكة أو لونجة كلاهما واحد يا مليكة ، تكرران في الزمان و المكان ، و تولد كل مرة من رحم العذاب و الجمال لتدخلا كل مرة عالم الخلود >> (28) .

باستثناء هذه الإحاطة فقط ، فالقارئ عند قراءته للرواية يجد نفسه أمام قصة عادية تصور حياة إحدى الأسر الفقيرة في أعرق حي بالعاصمة ، بطلة الرواية مليكة .

---

(26): رولان بارث ، لذة النص ، فؤاد الصفا و الحسن ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 1988م ، ص 62 ، نقلا عن : عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي ، دراسات نقدية في أدبها ،ص 193

(27): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 33 .

(28): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، 1993م ، ص 142 .

و عليه تبدو << الرواية مشروعية لرمزية معينة ، هذا على حد تعبير **عمر بن قينة** >> (29) ، هذه المشروعية تجد سندها في النص الذي تضمنته الصفحة الأخيرة مدعومة بحيثيات محدودة ، فمثلما انتهت الثورة بإعلان الاستقلال فقد ماتت قيمها في كثير من النفوس ، و مع ذلك بقي الاستقلال مولودا معززا مكرما ، جديرا بكل رعاية ، لأنه (ابن الثورة) فجرها الشعب ، في وطن فأدلى الغاضب المستبد .

<< لكن الجانب الرمزي الشفاف هنا بقي عرضة للإجهاض (في النص) بفعل القصور الواضح في النسيج العام ، ذلك أن كل رمز ينبغي أن ينهض على خلفية معينة فكرية و فلسفية ، ذات سند في المسار العام بالنص كله>> (30) .

هذا و قد ضاع الرمز داخل النص الروائي ، وسط مجريات روائية فرضتها الأديبة ، و شكلتها بقالب جاهز فرضته على القارئ ، و بذلك نجد أنفسنا أمام نص تاريخي ، و عادت بعد ذلك إلى التبسيط عبر فصولها السبعة .

" **فلونجة و الغول** " للأديبة **زهور ونيسي** تستمد شرعيتها و عظمتها من أنها حلقة في سلسلة ، تحاول إبراز قيمة الإنسان العربي عامة و الجزائري خاصة في محاولة إجهاض المحاولات التي تقود آلة الجبروت الغاشم لهز كيان هذا الإنسان و تهميشه .

جاءت الرواية كقصيدة شحن ، تهتز لها المشاعر و الآهات و تغلغل في عمق وجدان المتلقي ، حيث ينتصر الصبر و الأمل و القناعة ، على كل ما يسفره الاستعمار من قسوة و ظلم و جبروت .

---

(29): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر الطبعة الثانية 2009م . ص 257 .
(30): المرجع نفسه ، ص 257 .

<< إن واقع ما بعد الاستقلال هو الذي فرض على الروائي الجزائري أن يعبر عن بعض ما يجيش في صدره عن طريق " الشخصية الرمزية " حتى يبتعد عن محاصرة المعايير الاجتماعية و العقائدية ، بسبب ما يتوفره الأسلوب الرمزي من قدرة على التعبير عن الذبذبات النفسية و الخلجات العاطفية التي يحميها الرمز و يقويها .

و عليه اقترب الروائي الجزائري من التيار الرمزي الذي يعتمد على جانب التكثيف في الدلالة و الفكر عند عملية بنائه للشخصية الرمزية التي تشكل في حد ذاتها أبعادا مختلفة تضطرب فيها نفسية الأسرة و المجتمع >> (31) .

ومن ذاك نتج لدى الروائي إحساس قوي بكثافة هذا الواقع الجديد الذي كان من سماته البارزة ، و انبهار الفرد الجزائري بماضي الأجداد المشرقة جوانبه فانفجرت العملية الإبداعية لديه ، التي دفعته << إلى أن يلجأ إلى الشخصية الرمزية التي أصبحت علامة في طريق بناء معماري روائي أصيل ، ترتقي به الرواية الجزائرية إلى مضاف النماذج العربية و العالمية من حيث الثقافة ، الدلالة و الصبغة الجمالية >> (32) .

---

(31): جعفر يايوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، طبع في مطبعة وهران ، 2006م ص 135 .

(32):بشير بوجريو محمد : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 101 – 102 .

التراث التاريخي في رواية " لونجة و الغول " :

(التراث) هذه اللفظة كغيرها من المفردات التي عرفتها اللغة العربية منذ القدم ، و هي مصطلح في الكتابات الأدبية العربية و الحديثة ، له دلالات و أبعاد مختلفة ، و هذا ما يعده في وحدة الجدل التي يتسبب في إثارتها كلما جرى الحوار بشأنه .

(التراث) يقصد به الآثار التي خلفتها المجموعة البشرية و الطبيعية مرورا بعصور مختلفة ذات أزمنة مديدة و قد تكون لهذا التراث انتشار في العالم كله كالتراث الموروث عن الاستعمار و كذلك المعتقدات الشعبية من حكايات شعبية و أناشيد و رقص ... ، و هناك القصص التاريخية و القصص الخرافية و الأساطير و كذلك الأقوال المأثورة و الأمثال و الحكم .

فـ (التراث) ما هو إلا تلك الآثار المكتوبة الموروثة التي حفظها التاريخ كاملة أو مبتورة ليوصلها إلينا ، و تاريخ أي تراث كان غير محدود إذ كل ما خلفه المؤلف بعد حياته من إنتاج يعد تراثا فكريا ، و يبقى التراث بمفهومه الواسع يعني العلامة المميزة لهوية كل فرد ، و كل فئة اجتماعية و كل أمة ، و كل دولة إنه يؤسس هوية شعب ما باعتباره الموروث الثقافي و الديني و الفكري و الأدبي و الفني و كل ما يتصل بالحضارة أو الثقافة .

و نحن بصدد الحديث عن مدى التقاء الرواية الجزائرية المعاصرة بالتراث التاريخي و مدى تأثر الروائيين المعاصرين بالتراث القديم ، << و بعبارة أخرى عودة زهور ونيسي في رواية " **لونجة و الغول** " للموروث التاريخي >> (33) .
هل كان التراث وسيلة الكاتب أم غايته ؟

(33): جعفر يابوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، طبع في مطبعة وهران ، 2006م ص 64 .

(التاريخ) هو حدث في الماضي يخص الجوانب السياسية و الثقافية و الأدبية خاصة ، و هو يمتد إلى الحاضر ، و يتحدد من خلال المراحل التطورية .

إن ميلاد الرواية الجزائرية كان مع ظروف سياسية استعمارية تحوم حول موضوع الثورة ، و في مطلع السبعينيات تبتعد تدريجيا عن الثورة لتدخل التجارب الإبداعية المعاصرة ، فقد حاولت تهذيب الواقع من واقع اطلاعها على مخلفات الماضي << لأن أصول الأشياء في – الحقيقة – هي البديل الأمثل لإصلاحها و تهذيبها ، و قد وجد الكتاب هنا ضالتهم لإصلاح مجتمعاتهم حاولت الرواية الجزائرية المعاصرة – بحسب مضامينها المتقاربة نوعا ما – أن تقرب الماضي – التاريخ – من الواقع الجديد >> (34) ، محاولة للحفاظ على القومية الوطنية مع صعوبة هذه العملية ، فدخول التاريخ إلى النص الجزائري مغامرة من الكاتب الذي يريد أن يوصل أفكار معينة و يرسخها في عقل القارئ ، فالواقع المعاش هو الذي يحدد طبيعة الموضوع و يوجه الكاتب نحو قضايا المجتمع << إن الرواية – كفضاء متخيل – لا تنقل الواقع من صورته الحقيقية و إنما تعمل دائما على تزييف الحقائق بصورة تقترب من الواقع ، أي أنها تلبس الواقع الثوب الذي تريده ، و الذي تراه مناسبا له ، و بالتالي يكشف لنا واقع الكتابة عن الخلفيات الحقيقية للنص بما فيها من دواعي عملية الاستلهام من الماضي و توظيف عناصره و رموزه >> (35) .

ربما يعود تقيد الرواية بالمواضيع الثورية التي تقيد كتاب الثورة بالجو الاستعماري ، فالإبداع الحقيقي يولد مع الحرية التي تمكنه من الانفتاح على

---

(34): جعفر يابوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، طبع في مطبعة وهران ، 2006م ص 73 .

(35): المرجع نفسه ، ص 72 .

المجالات الحياتية المختلفة و على ما يدبوا أن << ما حدث في التاريخ الماضي من أزمات على مستوى الوعي الثقافي العربي هو ذاته الذي تشهده الحقبة التاريخية الحديثة فكأن التاريخ يعيد نفسه >> (36) .

الملاحظ في رواية " **لونجة و الغول** " أن التاريخ الذي استعملته الروائية هو تأويل للتاريخ ، قد يكون حدث حقا أو موجود على مستوى ذاكرة الأديبة التاريخية ، و الهدف هو إدانة الواقع من خلال إدانة التاريخ باعتبار الماضي السبب الرجعي لما يحدث في الراهن حتما .

فالعودة إلى التراث أمر هام في نتاج الروائي الجزائري كونه مرتبط بالثقافة و العادات و التقاليد الموروثة .

(36): علال سنقوقة : المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية ، الجزائر الطبعة الأولى ، جوان 2000م ، ص 142 ، نقلا عن جعفر يايوش ، الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، طبع في مطبعة وهران ، 2006م ، ص 73 .

مستوى أحداث الرواية :

كرست وقائع الرواية أحداث حرب التحرير الجزائرية من خلال أسرة جزائرية فقيرة ، تعيش في العاصمة و بالذات في أعرق حي فيها (حي القصبة) حيث ترمز هذه الأسرة إلى الحياة البائسة لأغلب الأسر الجزائرية ، و تعيش اضطرابات داخل حيزها الأسري ، خاصة بعد اندلاع حرب التحرير الوطنية في 1954 م ، و صعود أخ البطلة مليكة إلى الجبل ، هذه لبطلة التي عاشت اضطرابات داخلية كبرى ، أدت إلى تنامي وعيها الوطني خاصة بعد استشهاد أبيها في انفجار القنبلة في الميناء ، و بعد ذلك استشهاد أخيها ، و كذلك استشهاد زوجها أحمد .

بعد ذلك تزوجت مليكة مرة ثانية من كمال أخو أحمد زوجها الأول و صعوده هو الآخر إلى الجبل لمقاومة طغيان و جبروت المستعمر الظالم الغاشم الذي سلب و خرب و دمر و نهب ، و يعود هذا لاستمرارية الثورة .

تموت مليكة عند ولادتها لابنتها على أبواب الاستقلال ، و بذلك تتحقق الأمنية في أخذ الجزائر لاستقلالها ، و حياة ابنتها في حرية البلاد .

هذه هي أهم الأحداث التي مرت بها الرواية بالإضافة إلى أحداث أخرى تولدت بتطور الرواية ، منها الأحداث التي مرت ، عبرت فيها الكاتبة عن إيديولوجيتها في شكل سرد تسجيلي في تقرير معلومات تاريخية ، تخص تاريخ الجزائر القديم و الحديث .

الشخصيات :

لونجة و الغول رواية وطنية حالها حال معظم الروايات التي تناولت هذا الموضوع ، فرصدت الأديبة فترة منذ ابتداء الثورة المسلحة حتى انتصارها على المستعمر الفرنسي ، و اختارت المدينة مسرحا لأحداثها لتبين الدور الكبير لسكان المدينة في استقلال الجزائر .

فدارت أحداثها كلها في العاصمة ، و بالذات في حي القصبة بقلب العاصمة مع إحدى الأسر الفقيرة التي تعيش البؤس بأجلى مظاهره حالها حال أغلب الأسر الجزائرية الفقيرة .

و الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي **مليكة** الفتاة الصبية في مقتبل العمر ، يزينها الحياء و التردد ، و التي كانت أكثر أفراد أسرتها شعورا بالبؤس و كانت تتعثر في خطواتها لأنها كانت تحسب كل خطوة محاشية الاصطدام حيث كانت تعيش عدم الرضا على الوضع المعيشي ، و لها " رغبة التغيير" (37) و لكن لم يتحقق لها ذلك ، بل حدث ما زاد في ألمها و همها و هو تزويجها من رجل لم تحبه و لم تعرفه و زواجها ثانية من كمال بعد استشهاد أخيه ، فقضي بذلك على رغبتها كأنثى مما حولها إلى شخصية صامتة ، تنفذ كل ما يطلب منها دون اعتراض .

تمثل **مليكة** الجزائر ، أو هي الجزائر بكل ما تحمله من تحمل وعطاء رغبة في تغيير واقعها ، و نستنتج ذلك من خلال المعنى العام للقصة ، و عند قراءتنا المتكررة للرواية نحس بأن شخصية مليكة باهتة نوعا ما و غير فعالة إلى درجة أنها تربكنا من خلال تصرفاتها بسلبية تجاه قرار العائلة رغم أنها دخلت المدرسة و أخذت قسطا من العلم ،<< فشخصية مليكة تعتبر العمود الفقري لهذا

---

(37): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، ص 15 .

العمل الروائي >> (38) .

الأب : يظهر متعبا ، يعود كل مساء مثقلا بالهم من عناء يوم طويل قضاه في الميناء ، فهو مثال حي عن بقية العمال الذين يفنون زهرة شبابهم في الاستغلال و الرضوخ لتسلط الاستعمار ، فلم ينوبهم من هذا إلا الجوع و الفقر و المرض و الإهانة ، أما على مستوى العائلة فلم يكن إيجابيا رغم عادته من الحمد و الشكر و الاستغفار الدائم ، و استشهد في عملية تفجير بالميناء .

و مع هذا الجو من الظلم والبؤس تظهر لنا **الأم** راضية ، هادئة تدعي الاكتفاء و لا تتذمر على عكس ابنتها ، و تقوم بأعمال المنزل من طهو و غسيل و غير ذلك ، و مع هذا << فهي على عادتها إما حامل يسبقها بطنها إلى الأمام في حركة بطيئة ، أو مخرجة ثديها ترضع أحد صغارها ، و هذا ما ترسخ في ذهن مليكة >> (39) ، و هي في عز شبابها .

أما **الأخ** << الشاب يظهر في البداية خال الوفاض عاطلا عن العمل قلقا يشعر أنه لا معنى لحياته غير مبال سيء الطبع>> (40) ، و فجأة يتغير دون تعليل و تقديم أسباب التغيير << سوى أنه قرر الالتحاق بالجبهة >> (41) فيظهر بعد ذلك زوجها الأول **أحمد** الذي تجد بين أحضانه الحب الحقيقي بينما تغدو ذكريات الحب الأول بمثابة لعب أطفال . فتدرك مليكة بأن الحب الحقيقي يأتي بعد الزواج وظهر لها زوجها هادئا و صامتا و غيورا على وطنه مثله مثل باقي الشباب << وذلك بالتحاقه بالجبهة بعد أن أودع بطن مليكة جنينا ، وبعد وفاته

---

(38): بشير بوجريو محمد : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 15 .

(39): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، ص 10 .

(40): المصدر نفسه ، ص 10 .

(41): المصدر نفسه ، ص 46 ، 55 .

تحديدا أصبحت أرملة في الثامن عشر من عمرها ، فافتقدت كثيرا حنانه و رعايته المتفردة >> (42) ، بعد أن نما بينهما حب و مودة ، و شخصية أحمد شخصية إيجابية في الرواية .

بعد ذلك تتزوج مليكة أخاه **كمال** تلبية و رضوخا لأوامر الوالدين ، هذا الزوج الذي تنظر إليه نظرة أخ و لم تكن تتوقع يوما أن تكون زوجة له يوما حتى بعد عقد قرانهما و دخولهما غرفة الزوجية ، لم يفارقهما هذا الشعور بالأخوة و بعد مدة قرر كمال الالتحاق بالواجب الوطني و في تلك الليلة تغير سلوك كمال و نظر لمليكة كزوجة لا كأخت ، فانكسرت مرآة الأخوة بينهما و أودعها جنينا في بطنها .

و نجد أيضا شخصية **سي لخضر** صديق والد مليكة و هو حافظ للقرآن على أنه يظهر بأنه لا يفهم ما يدور حوله ، و نجد أيضا **البهجة** و هي طليقة كهلة تعمل طيابة في حمام الحي ، لم تنجب في حياتها ، تطلقت و هي شابة ، و كانت متطوعة لمساعدة جميع الناس ، فلم يكن هناك تجمع بمناسبة أو بغير مناسبة إلا و خالتي البهجة هناك تصول و تجول و تقول ما تريده منها المقاومة أن تقول و حسب المناسبات (43) .

و بمقابل شخصية مليكة هناك شخصية **غنية** زميلتها و هي عكسها تماما فتاة غنية وهم يمتلكون البيت الذي يعيشون فيه و يركبون سيارات الأجرة و يأكلون اللحم و الخضار و الفواكه كل يوم تقريبا . و **ميسيو جاك** و هو رئيس الميناء و المتحكم في كل ما يخصه من سلع و عمال فهو لا يتعب في عمله و لا يشكو من ألم في ظهره من جراء حمل الأثقال كوالدها << فعمله يكاد يكون لهوا

---

(42): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، ص 61 .
(43): المصدر نفسه ، ص 67 – 70 .

و تريحا عن النفس و ممارسة للعزة و السلطة >> (44) . و دون أن ننسى شخصية عمي سحنون و هو عامل في الميناء و صديق والد مليكة ، و يتمتع بقدر من الثقافة و التعليم .

و بما أن << الشخصية تعتبر العمود الفقري للعمل الروائي >> (45) . و من خلال مجمل شخصيات الرواية نجد أن الأبطال أناس بسطاء يمثلون غالبية الشعب مسحقين اجتماعيا << فهم إيجابيون يسعون و يعملون على التغيير للأحسن و البحث عن الاستقلال فهم يحاكون واقعهم المأساوي بكل تناقضاته و يعيشونه شكلا و مضمونا >> (46) .

(44): المصدر السابق ، ص 17 .
(45): بشير بوجريو : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 5 .
(46): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 39 – 40 .

دراسة الزمن :

لونجة و الغول تكرس وقائعها حول ثورة التحرير الوطنية ، و التي كانت واقعا استمر سبع سنوات ، استطاع الشعب بتضحياته و بطولاته و شهدائه من انتزاع الاستقلال و التحرير من بين فكي الاستعمار الغاشم ، بالرغم من أن مرور ما يزيد عن<< ثلاثين عاما تقريبا >> (47) .

ففي رواية " **لونجة و الغول** " لم يظهر الزمن بشكل جلي و لم يحدد فهو يتمدد على طول الثورة التحريرية ، و هنا نقول أن ورود الأحداث بترتيب الزمن التقليدي ، ماضي ، حاضر ، مستقبل . لم يعد مقبولا في النصوص الحديثة التي أصبحت تعتمد على إخفاء الزمن و عدم توضيحه لتزيد من عنصر التشويق في الرواية .

و للزمن دور كبير في زيادة جمالية الرواية ، فلا يمكن اعتباره عنصرا هامشيا فهو يزيد من عمق الرواية و يعمل على تخليدها .

<< **لونجة و الغول** توسطت الطور التاريخي الذي شملته الرواية لجزائرية و التي اتخذت من هذه الحقبة الخصبة محورا زمني لها ... و هي فترة ما قبل الاستقلال و ما بعده >> (48) . فهي تقف بنا وقفة طويلة أمام ظاهرة الاستعمار .

و عند قراءتنا للعنوان في هذه الرواية التي تنبعث في الثقافة الشعبية المحلية تعود الذاكرة بنا إلى تاريخ الأساطير من زمن بعيد ، فنجد في هذه الرواية زمنين ، زمن العنوان الذي ينعكس على الجو الروائي ، فأول ما تقرأه العين نتوقع قصة قديمة من الموروث الشعبي .

---

(47): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 51 .

(48) : المرجع نفسه ، ص 54 .

لم تعين الأديبة أزمنتها بدقة في " **لونجة و الغول** " حيث أنها لم تعين زمن بداية السرد ، و بما أن الرواية تاريخية فالزمن هنا لم يعبر بوضوح عن التاريخ فهي لم تذكر سنة أو يوم أو حدث تاريخي ، و اكتفت بذكر أحداث يوم يمكن أن يحدث في كل زمن من الأزمنة في 1830 م منذ اجتياح فرنسا للجزائر ، و تارة أخرى نجد أن موضوع الثورة يسيطر على زمن السرد و على حسب أحداث الرواية يتراءى لنا بأن الأبوين من أسرة فقيرة ، أنجبا أولادا عاشا نفس عيشتهما ثم خطب ابنتهما مليكة أحمد من نفس بيئتهما ، فتحبه و تخلص له ثم يلتحق بالجبل و كذا أخاها رشيد ، و يدل هذا الزمن على بداية التحاق الشباب بصفوف الثورة و الكاتبة لم تصرح بالزمن بشكل واضح ، و في الأخير عبرت عن زمن اشتعال الثورة و كان ذلك بشكل رمزي ، و ذلك بعسر ولادة مليكة و اقتراب الاستقلال و ينتهي زمن الرواية مع نهاية مليكة (وفاتها) و مولد فجر جديد لنوارة و الجزائر معا .

يقول **عمر بن قينة** : << ماذا قدمت الكاتبة في هذه الرواية من أجواء و شخصيات و رؤى ؟ ، ثم كيف قدمت ذلك إطار و معالجة ؟ و هما سؤالان يقتضيان مني معالجة نقدية شاملة في مساحة واسعة ، و بطول نفس مما قد لا يتسع له وقت قارئ في زمن صعب ، كثرت همومه و قل الفرح فيه فلم يبق أمامي إلا الاختصار مكتفيا بما يمكن أن يدل ، و إن قل إشادة بجهد و احتفاء بمولود جديد ، في زمن عجيب ، فأحداث الرواية من الإشارة إلى 1830 م بانتهاء العهد العثماني ، و سقوط البلد تحت الاحتلال الفرنسي ثم تتركز في سبع سنوات و نصف من عمر الثورة الجزائرية (1954 – 1962) >> (49) .

(49): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر الطبعة الثانية 2009م ، ص 257 .

دراسة المكان :

للمكان دور كبير في بناء الرواية أو القصة ... إذ أنه يوصل الزمن في مجريات الأحداث أو يضفي عليها عمقا خاصا ... لذا فإن المكان من أهم عوامل خلود الأعمال الأدبية و الفنية ...<< فالأفكار الناجمة عن افتضاض المكان اجتماعيا أو نفسيا >> (50) ، ثم وصفه ماديا تكون حرية بالخلود ، عكس الأعمال التي تهمل ذلك العمل ، ... و المكان الشاحب لا يؤكد نفسه و لا يخدم أحداث النص . ففي رواية لونجة و الغول يؤكد المكان ذاته ، حيث نجد أن نسيج الأحداث يعتمد على مدينة كبرى مثل الجزائر ، و على حي بعينه هو حي القصبة << أنا القصبة يسمونني البهجة و يسمونني زينة البلدان عذراء بين الأبكار >> (51) . لتدور فيه أحداث الرواية ، و هذا الحي بالذات له دور كمكان خطير في حرب التحرير حيث أن الثوار مارسوا فيه حرب الكر و الفر ساعدهم في ذلك النهج الطويلة ، المندمجة بالأبواب و المنازل و يحفظونها لأنها شوارعهم و أماكن طفولتهم و حاضرهم . ففي هذا الحي قامت أحداث الرواية بين منازلها و دروبها و نسجت أحداثها النهارية و أيضا الليلية . و لذا كانت الخاتمة فيه الخروج إلى الشوارع ، فكان سببا لتأخر حالتها و المساهمة في القضاء عليها .

كما أن الفضاء المكاني استوعب الجبل البعيد خارج المدينة ليكون مكانا لتجمع الثوار و هربهم بالنهار من الأعداء و الكر عليهم في عتمة الليل فهم ينزلون عليهم في الشوارع و الحواري كالنسر ، فكان الجبل مكان التستر و الحواري و الشوارع مكان الحرب ليلا ، و المنازل و الدور التي يجتمع فيها الأهل هي

---

(50): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م . ص 52 – 53 .

(51): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، ص 9 .

ذاتها أماكن اقتحام جنود الاحتلال للبحث عن ثوار الليل لذا فإن المكان يكتسب بعدا إنسانيا و فنيا ، و إن كان قد بهت دور المكان أحيانا في هذه الرواية نظرا لاهتمامها الأعظم بالزمن و الشخوص و التي تضطلع بالأدوار الرئيسية و الثانوية .

فالرواية تبحث عن عمق النفس البشرية ، حين تواجهها الأخطار ، و حين ينصبها القدر ، لأن تكون لها دور حيوي و إيجابي ، في مواجهة أحداث جسام أو تصنع تاريخا عظيما ... هذا الاهتمام باستنطاق أغوار هذه الشخصيات خاصة مليكة ، البطل الرئيسي و المحوري و استجلاء همومها ... و تصرفاتها حيال ما حولها من أحداث و شخوص أخرى ، تدور في المتن الروائي ، تغلغل في عمق النسيج القصصي ، لا شك بعد هيمنة المكان على النص تاركا الفراغ لتتبع تنامي شخصية مليكة ، و تنامي الأحداث ليتوارى المكان ، و لا يصبح له الخلود حتى و لو كان حي القصبة الشهير .

" **لونجة و الغول** " للأديبة **زهور ونيسي** تستمد شرعيتها و عظمتها من أنها سلسلة تحاول إبراز قيمة الإنسان العربي ، و الإنسان الجزائري كنموذج ، في مواجهة المحاولات الدؤوبة لتهميش هذا الإنسان ، فرسمت هذا البعد الإنساني العفوي ، المتكئ على قيم و تراث و تقاليد و حضارة المتلقي ، حينما لا تنهار القيم ، و ينتصر البسطاء أصحاب الأرض على الآلة العربية لدولة كبرى و كل ما يملكون هو الإرادة و الصبر و المشاعر الإنسانية الفياضة بالرضى و القناعة و الأمل .

دراسة اللغة :

" **لونجة والغول** " ذات نبض واقعي ، فهي تكرس وقائعها حول حرب التحرير الجزائرية و التي كانت واقعا استمرت سبع سنوات ، استطاع الشعب بتضحياته انتزاع الحرية ، بالرغم من مرور ما يزيد عن ثلاثين عاما تقريبا ، إلا أنها مازالت منهلا لإبراز قيم و مبادئ الأمة الجزائرية بوجه خاص و العربية بوجه عام ، إذ أن البطولات و القصص التي يمكن استخلاصها و العبر ، لا تنتهي و ستظل إلى ما شاء الله ، تبعا لذلك إذ أن في مثل هذه الظروف الاستثنائية تتجلى التجارب الحياتية و القيم الحميمية و الشعبية ، و يظهر التضامن و التوحد و تبدو قيمة العطاء الشعبي في قمتها ، و يتجلى الإنكار للذات ... و تجلى الصبر و التحمل ، و تتوحد الأمة بكل طوائفها ، و من هذه الواقعية و الأحداث التي تكاد أن تكون واقعية أحيانا ، جاءت لغة القصة هادئة رخية تتواكب مع شخصيات الرواية ، والملفت أن كل شخصيات الرواية الرئيسية يتميزون بالهدوء الثوريون منهم و الشباب ، مثال : أحمد و كمال ... و رشيد ، و كذلك الأهل : الأب و الأم و الحماة ... الخ . لربما إن ظروف الثورة الشعبية ، في الأحياء الشعبية كحي القصبة ، كانت تعتمد على الكتمان ، الكر و الفر في مواجهة قوات الاحتلال بينما الثوار في الجبال بعيدا ، يأتون ليلا لمواجهة العدو .

<< من هنا كل الصبر و الهدوء و اختزان المواقف و التكتم ، صفات هامة لابد من إضفائها على هذه الشخصيات الصابرة المنتظرة ، دوما نتائج حرب العصابات التي يشنها الثوار ... >> (52) .

---

(52): عز الدين جلاوجي : زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 51 .

و من هنا جاءت اللغة المناسبة لتلك الشخصيات المتكتمة أمرها و سرها خوفا من بطش الجنود ، و رغم سلاسة اللغة و صفاتها ، فإنها ظلت ذات وثيرة واحدة لم تتعدد مستوياتها كثيرا ، اللهم إلا في التداعي الحر ، أو المنولوج الداخلي أحيانا لدى البطلة مليكة الشخصية الرئيسية ، و التي تشكل فضاء النص ولربما يعود ذلك إلى الريثم الهادئ الذي ميز أحداث الرواية ، لأنها تحكي قصة شعب .

و بالرغم من أن الدراما في " **لونجة و الغول** " ، كما يمكن أن تستوعب أحداثا أكثر غنى و أكثر ثراء ، إلا أن التركيز على شخصية مليكة حرم الرواية من فضاءات كثيرة سواء من ناحية أحداث و قصص أخرى ... تحكي عن أسرتها و عن شعبها و عن أسرتها الجديدة ، و لكنها كلها جاءت إشارات بغية إبراز محورية الحدث المرتبط بمليكة أساسا " الشخصية الرئيسية " و التي تمحورت حولها كل الأحداث و القصص و فضاء الرواية ككل .

إن هذه الشخصية التي سجلت **زهور ونيسي** روايتها فيها ، لم تستطع أن تبوح بالكثير ، فحجبت عنا الكثير الذي يمكن أن يقلل في مثل هذه الظروف الحياتية القاسية و ظروف ثورة التحرير ... و لقد جاءت النبرة الواقعية في الكتابة ، و ما فرضته من حذر في ملامسة الأحداث و الشخصيات بعمق أكثر قد حولتها إلى قصة فوتوغرافية لم تعبر منها إلى كسر السائد ، أو لم تطل منها على الجروح الجسمية و الروحية كما يجب ، كما لم تدرك مدى ما تعانيه المدينة لمحاربة كما يجب ، كما حرمتنا حتى من إبراز مكنون العلاقة بين مليكة الرمز و الرجل الرمز ... و ظلت الحوارات لا تملك مفاجأة سكون أذهاننا ... و حرمت الشخصيات من أبعادها الحياتية و المكانية و الزمنية كما يجب .

الفصل الثاني

- الواقع الاجتماعي في الرواية الجزائرية
- الأزمات (السياسية ، الاقتصادية ، الثقافية ، الدينية ، الاجتماعية)
- الأدبية – الهروب من الواقع –
- الرواية و رؤية الواقع عند الروائية في " لونجة و الغول "
- قراءة عامة في مضمون الرواية

1- الواقع الاجتماعي و الفكري في الرواية الجزائرية :

(الفن) هو تعبير إنساني عن قضاياه الاجتماعية المتعددة ، و كل القضايا تندرج ضمن المؤسسة الاجتماعية الواسعة ، فالإنسان هو صانع الفن ، و كل فن يتجه الإنسان في جوهره اجتماعي ، الفن هو رؤية خاصة نابعة من قناعة و اتجاه و أفكار الفنان ، و يعتبر أداة اتصال اجتماعي متفاوت التعبير عن اتجاه و أفكار مجتمعه .

و الرواية هي أحدث النتاجات الأدبية الإنسانية التي تعبر عن المجتمع بشكل سردي قصصي بسيط ، و هي تعتبر من أهم الأنواع الأدبية فهي تكشف خبايا المجتمع بشكل واضح وجميل .

و الرواية تتميز بصفتين أولهما " التاريخية " هذه الصفة التي تجعلها تعبير عن تاريخ المجتمع بما يحمله من أحداث مضت ووقائع حصلت في زمن مضى و انتهى ، و ثانيهما " الواقعية " و هي تعبير الرواية عن الوقائع المعاشة و نقلها بما تحمله من تفاصيل و أحداث واقعة .

<< الأديب الواقعي يستقي موضوعاته من حياة الناس على اختلاف طبقاتهم وانتماءاتهم الاجتماعية >> (1) ، << إن للأديب وظيفة اجتماعية متعددة الجوانب بعضها يهتم بخدمة المجتمع من ناحية الكرامة الإنسانية و ذلك بالدفاع عن الحرية و مقاومة الظلم بجميع أشكاله ، و بعضها يلتفت إلى الحالة الاجتماعية بغية مساعدة المجتمع على الوعي بها ، و العمل على القضاء عليها أو تحسينها على الأقل >> (2) .

---

(1): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص 271 .

(2): المرجع نفسه ، ص 275 .

فالأدب له وظيفتان : وظيفية نفعية معرفية ووظيفة جمالية شكلية وتظهر وظيفة الأدب من خلال الأبعاد الاجتماعية و السياسية ...

التي يقدم من خلالها نصا روائيا جماليا و هادفا ، فالنص الروائي لا يقدم واقعا كما يقدم إبهاما بالواقع ، فالأدب لا يعتبر وثيقة تاريخية يمكن الاستشهاد بها و بذلك لا نستطيع تقديمه كدليل على الأحداث بقدر ما يعرفنا و يخبرنا بالوقائع الحاصلة ، فالفن عموما و الأدب خصوصا يحمل استقلالية و مرونة في التصرف فالأديب ليس مؤرخا << و الفرق بين المبدع و المؤرخ في هذه الحال هو الشرط الأساسي في احتفاظ كل واحد منهما باختصاصه ، اختصاص الروائي المبدع و اختصاص المؤرخ المبدع أيضا ... إن المؤرخ في الحقيقة "وحسب اعتقادي" لا يهتم إلا بالأحداث و الوقائع و التواريخ و تحليلها دون إبداع رأي خاص فيها و هذا ما يسمى بالموضوعية ، ولو أن المؤرخ لا يخلو من منهج الذاتية ، لأن الفكر الإنساني أثبت عدم القدرة على الفصل بين الذاتي و الموضوعي ... بمعنى أن المبدع الروائي أكثر حرية من المؤرخ ، لأن رأيه الحر لا يؤثر على كتابة التاريخ و تسجيل الوقائع ، إنه محلل من نوع آخر غير مطلوب منه إبراز الحقائق و الوقائع كما هي دون زيادة أو نقصان ... بل مطلوب منه أن يستخرج من التاريخ أهدافا و غاياتا تنير طريق البشرية من جديد >> (3) .

و نجد هذا في عموم الرواية و الرواية الجزائرية على وجه الخصوص فقد ارتبط المفهوم الوظيفي للرواية بالتاريخ الوطني وهذا ما وظحته الأديبة **فضيلة فاروق** << كجزائريين إن لم نكتب عن التاريخ العظيم الذي صنعه الذين استشهدوا من أجل جزائر حرة فعلى ماذا سنكتب >> (4) ، و هنا نجد فكرة

(3): زهور ونيسي : مجلة الثقافة (الرواية العربية التاريخ و الترجمة) الصادرة في يناير 2009م ص 151

(4): المرجع نفسه ، ص 149 .

الواقعية أكثر بروزا عند الكاتب الجزائري الذي يظهر شديد الإلتزام بقضايا الثورة و الكفاح ضد المستعمر الغاشم على الأقل بشكل رمزي ، << إن المنادون بضرورة الإلتزام في الأدب العربي شاعرون بجدية موقفهم >> (5) . فالالتزام عند الكاتب الجزائري خاصة في الفن الروائي إلتزام بقضية المكافحة (مكافحة الاستعمار) و الالتزام في سرد الواقع المعاش << و لأن المخيلة الجزائرية كانت تنمو و تتطور داخل فضاء ثوري شمولي >> (6) . من خلال اتخاذها للثورة المصدر الأول و المرجع للكتابات فدافعت عن مقوماتها و أفكارها وعبرت عن الظلم الذي أوقعه الاستعمار الفرنسي ضد الشعب الجزائري << فكانت المخيلة الجزائرية تتألم و تقاوم ضربات الاستعمار بكل الأشكال و الصيغ التعبيرية المتاحة من أجل تغذية روح المقاومة الشعبية و تجديدها >> (7) فالأدباء الجزائريون كانوا شاعرين بالمسؤوليات إزاء قضايا أمتهم و ذلك راجع إلى معاناة المثقف الجزائري أثناء الثورة وكذلك << للحفاظ على هذا الرصيد التاريخي الهائل من المقاومة ، انتفض الوجدان الفني الجزائري عبر مراحله التاريخية ليعلن عن اختلافه و رفضه للاحتلال بكل أشكاله ، وحقه في الحرية و الاستقلال و عن انتمائه الحضاري و هويته الوطنية بكل أبعادها و أطيافها المتنوعة >> (8) .

و هذا هو الرد على المستعمر الغاشم الذي حاول مسح الهوية العربية من الأنفس و الشعوب باستعماله لأساليب قمعية ، و لم يكن ذلك في السبع سنوات الأخيرة فقط بل عبر مئات السنين ، و قد ظهر الالتزام عند المثقف و الأديب الجزائري

---

(5): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص236 .

(6): عز الدين العكايشي : من أسئلة الراهن في النقد و الإبداع الجزائري الحديث ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 7 .

(7): المرجع نفسه ، ص 8 .

(8): المرجع نفسه ، ص 8 .

بصورة أكبر في بداية العصر الحديث المتأخر بالجزائر ، و يرجع ذلك للظروف التي مرت بها الجزائر في هذا العصر من ألم و حزن و بحث عن الهوية الحقيقية فوصل أدباؤنا إلى أن هويتنا تكمن في أهم ميزة و هي الميزة النضالية أثناء ثورة الجزائر << و يعني هذا أن الأديب الملتزم متأثر و مؤثر في آن واحد . متأثر بما يستوحيه من المجتمع من موضوعاته و تجارب إنسانية واجتماعية و مؤثر بما يسهم في بلورة الأفكار و الآراء التي تؤمن بها الجماهير>> (9) ، للأدب دور مزدوج ، دور يكمن في ترسيخ ما مر في التاريخ و دور في تذكير المجتمع و محاولة إخراجه من دوامة البحث عن النفس في ظل التغيرات السريعة في المجتمع . فظهرت هذه الكتابات في هذا الوقت العصيب لتذكر المجتمع ببطولاته و أمجاده التي تمكن في ثورته منذ 1954 م و إلى غاية 1962 م و الاستقلال الذي نزعته نزعا اليد القوية من صدر الاستعمار الغاشم خاصة في هذه الأحوال المتغيرة المشتة << نحن في حاجة ماسة إلى ثقافة أصيلة متجددة في الوقت نفسه تعبر عن ذاتها ، عن هويتنا ، عن واقعنا عن آمال الأجيال الجيدة >> (10) بعد هذه الفترة ما بين 1962-1970 م هذه الحقبة التي عرفت فيها الجزائر حياة قاسية على كل المناحي السياسية و الاجتماعية و التي قام فيها محاولة بناء المجتمع و الحكم من الأساس و محاولة بناء ما خربه الاستعمار الفرنسي منذ أكثر من 132 سنة على مستوى كل القطاعات في ظل الظروف الغير سانحة لأي بناء أو نشاط و لتغير العقلية الثورية في المجتمع الذي لا يزال يعيش على ذكرى ما عاشه أثناء الاستعمار و أخذ وقت لتقبل الوضع الجديد . كما تميزت هذه الفترة بالصمت على مستوى الساحة الإبداعية و عدم ظهور إبداعات فنية

---

(9): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ص 240 .

(10): عبد الله الركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دار هومة ، ص 16 .

و كان الشعب و المثقف الجزائري يحاول تقبل الوضع الجديد ببطء ، و بعدها جاءت فترة السبعينات التي حملت إنجازات على كافة المستويات الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و التحولات السياسية التي حملت نفسا جهاديا على السلطة و هذا العقد هو العقد الذهبي بعد الاستقلال ، كما أنه يعتبر عقدا ذهبيا للرواية الجزائرية << فإن هذا الإبداع بعد الاستقلال صار أكثر انفتاحا على منجزات الخطاب الإبداعي الجديد >> (11) .

و التي تلتها فترة الثمانينات و التسعينات ، و تعتبر أسوأ مرحلة و أقسى فترة شهدها الشعب الجزائري من انتشار العنف ... الإرهاب ... و زهق الأرواح و التحطيم لمنشآت الدولة و الإضرابات في جميع الميادين ، و بقدر ما كانت قاسية على الشعب كانت أقسى على الأدباء الذين أسهموا بالكتابة بعد قضاء و انتهاء هذه الفترة أو بالأحرى بعد استيعاب الأحداث الواقعة في هذه الفترة (وسيأتي شرحها بالتفصيل) .

لقد كان الفن الروائي مسرحا للأحداث و الظروف السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية ضمن الواقع المعاش و بطولات التاريخ و هذا ما أوصل الجزائر إلى ما عاشته سنوات التسعينات . هذا الاختلاف الكبير بين الفترتين فالحديث عن الواقع الجزائري مختلف كل الاختلاف عن فترات التاريخ و هذا الإطار جعل الأديب يبحث عن هروب مؤقت على الأقل من واقعه المر و المؤلم باحثا عن حلول ربما يجدها في التاريخ لتكنه لمحاولة التعايش مع هذه الأوضاع التي لا تزال تتطور و تتدهور ، هذه الرقعة في شمال إفريقيا التي تظهر أرضا خصبة غنية بالثروات ، إلا أنها و على مدى بعيد ما هي إلا بؤرة توتر و نزاعات لا تنتهي خاصة على المستوى الاجتماعي و الفكري ، و يتجلى الواقع الجزائري

---

(11): عز الدين لعكايشي : من أسئلة الراهن في النقد و الإبداع الجزائري الحديث ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م ، ص 14 .

في الأزمات التي حصلت و كونت هذه العوائق و هي (الأزمة السياسية الاقتصادية ، الاجتماعية ، الثقافية و الدينية) و التي سنقوم بشرحها .

تفرض علينا الكتابة عن الثورة الجزائرية الخالدة نفسها ، ذلك لأهميتها في حياة الفرد و المجتمع ، فهي تحمل قيما إنسانية و اجتماعية عالية التي كتب و لازال و سيبقى الأدباء يتحفوننا بأعمالهم الفنية و الثورية ، فهي حافز عظيم لأي حس أدبي ووطني و تزيد من جمالية أي نص أدبي جمالا و بهاءا ووطنية و امتدت التجربة الإبداعية في الجزائر منذ الخمسينات و إلى غاية التسعينات أين نجد **زهور ونيسي** تخط قلمها بكل ثقل في رواية " **لونجة و الغول** " و تتحول الثورة كموضوع لها و هنا يطرح السؤال نفسه :

لماذا **زهور ونيسي** رجعت إلى الثورة و هو زمن يبعد بحوالي ثلاثون سنة ؟

مع أن الكتابة في الثورة اعتبرها العديد من الأدباء منهلا خصبا و ثريا يفتح المجال للإبداع و التعبير ، إلا أن زمن التسعينات هو زمن تحول في جميع ميادين الحياة ، أحداثه مختلفة تماما عن أحداث الثورة . فهنا من حقنا أن نسأل

هل للواقع علاقة بالتاريخ الثوري ؟

هل هذه علاقة سطحية أم عميقة ؟

و هل جسدت الروائية ذلك من خلال الرواية ؟ بوضوح أو بشكل رمزي ؟

و أول ما يلفت انتباهنا في أزمة التسعينات أو ما يسمى بالعشرية السوداء الأزمات و لمعرفة السبب علينا أن نعرج لشرح الأزمات .

الأزمة السياسية :

كانت الجزائر بعد الاستقلال دولة فتية و بعيدة كل البعد عن وضع الأنظمة أو التسيير ... لذلك لم يكن الاستقلال حلا كاملا لمشاكلها بل وضعها أمام منعرج كبير و مشاكل أكبر ، و تعود بنا الذاكرة إلى البحث عن أسباب هذه المشاكل و بذلك إلى مآسي الاستعمار الذي << لم يعد خافيا على أي مراقب محايد حجم الحملة التي تستهدف القومية العربية و الإسلامية معا ، باعتبارهما إطاري التوحيد و التواصل الحضاري في منظمة تمتلك حيوية إستراتيجية فائقة بالنسبة إلى الدول الطامعة إلى الهيمنة على مقدرات العالم اليوم وإذا كانت هذه الحرب لم تتوقف يوما واحدا منذ قرون ضد العروبة و الإسلام >> (12) . و رغم هذه الأطماع التي استهدفت العالم العربي عامة و الجزائر خاصة فلم يكن الشعب الجزائري آنذاك يفكر في شيء سوى نزع الحرية و الاستقلال و ذلك بالكفاح المسلح ، و يعتبر ذلك أول خطوة للتفكير في مستقبل الجزائر كدولة خاصة بعد اتحاد الحركات الوطنية و ثورة نوفمبر المجيدة و أخذ الاستقلال ، حيث تولى جيل الثورة القيادة هذا الأمر الذي كان صعبا و صعبا جدا ، فتولي السلطة يكون معقد في زمن مثل هذا الزمن ، زمن التطور السريع و التقدم الذي حصل في البلدان الأخرى و التخلف و الدمار الهائل في الجزائر << خلال أكثر من ربع قرن و الحياة السياسية الجزائرية ، عاشت و اعتادت على إيقاع واحد و نمط سياسي واحد، و حزب واحد احتكر السلطة و كل مؤسساتها ، مستندا على مؤسسة عسكرية قوية التنظيم و الانضباط >> (13) ، و لكن بعد سنوات خاصة

---

(12): خير الدين حسيب : مقال بعنوان " حول الحاجة إلى كتلة تاريخية " تجمع الرئيسة للأمة مجلة المستقبل العربي ، العدد 336 ، السنة 29 ، شباط (فبراير) 2007م ، ص 6 .

(13): ناظم عبد الواحد الجاسور : الجزائر محنة الدولة و محنة الإسلام السياسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الطبعة الأولى 2001م ، ص 11 .

مع اندلاع العنف في المرحلة الموالية التي مر بها الشعب الجزائري ، من الطبيعي أن تخلق الأزمة خاصة في هذه الظروف الصعبة التي شملت تقريبا كل الدول العربية حيث << تواجه الأمة العربية شعوبا و أنظمة سياسية ، مأزقا شاملا لم يعد التغيير فيه ممكنا على الطريقة السابقة ، أي على طريقة الثورة الشعبية أو طريقة الانقلاب العسكري >>(14) . فجاءت أحداث أكتوبر كقنبلة انفجرت مطالبة بالتقويم و تعتبر شكلا من أشكال التعبير السياسي معارضة للظلم و القهر ظهرت كنتيجة لصبر طويل ، و قلبت الموازين رافضة لنظام الحزب الواحد << فلننظر حوالينا و في جميع الجهات إلى الشعوب هل نجد ثقافة تعبر عن حزب واحد أم نجد ثقافة تعبر عن شعب >> (15) ، فطالبت بالانقلاب إلى التعددية الحزبية و تعديل النظام الاقتصادي حيث عبرت هذه الاحتجاجات و الانتفاضات الشعبية عن رغبة الشعب في التغيير .

فجاءت أحداث أكتوبر 1988 م ، تلك الأحداث التي أعلن فيها هذا الشعب رفضه القاطع للضغوط التي مورست عليه ، فاندلعت معبرة عن صرخة الجزائريين تحديدا في 5 أكتوبر 1988 م غير أنها سبقت بإشاعات تنذر بإضراب شامل نظرا للظروف الصعبة التي تشهدها البلاد ، كارتفاع أسعار المواد الغذائية خاصة الاستهلاكية ، و تدهور مداخيل الدولة من العملة الصعبة ، حيث خرج طلاب المدارس و الثانويات يوم 04 أكتوبر في مظاهرات و احتجاجات ...

و هذه النتائج الاقتصادية السلبية أثبتت فشل النظام الاشتراكي الذي اختير بعجلة و ارتجال من طرف رجال الدولة ، و قد كان انفجار أكتوبر بمثابة البداية

---

(14): خير الدين حسيب : مقال بعنوان " حول الحاجة إلى كتلة تاريخية " تجمع الرئيسة للأمة مجلة المستقبل العربي ، العدد 336 ، السنة 29 ، شباط (فبراير) 2007م ، ص 8 .

(15):عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دراسات و مقالات ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر ، 2007م ، ص 17 .

الفعلية للفئة الوطنية الجزائرية الكبرى ، حيث عبرت هذه الاحتجاجات و الانتفاضات الشعبية عن رغبة الشعب في التغيير السياسي نظرا لإفرازات المرحلة في ظل تدهور الحياة المعيشية و تدينها و صعوبة الحصول على لقمة الخبز التي انتفض من أجلها ليدق المسمار في نعش نظام مهترئ في كل مؤسساته ، و مترهل في نظام بيروقراطي كبير ،<< قائم على المحسوبية و المنسوبية التي تحكم بمقاليد السلطة الإدارية ، و الحزبية ، و في خلف الكواليس بقفازاته القوية ، كان الجيش القوة المحركة و الفعالة لتوجيهات النظام الداخلي و الخارجي ، فقد كان الجيش بجنرالاته مركز قوة النظام >> (16) ، هذا النظام الذي تدخل كثيرا على مستوى السياسة و مثل قيدا على الحركة السياسية فاختمرت هذه المشاكل محدثة الأزمة و إخفاق السلطة و انعكاس هذا الإخفاق بالدرجة الأولى على الشعب بجميع شرائحه لأنه الضحية الأولى و المباشرة فرفض و رفع الشعارات و التنديدات و المطالبات و كسر و هدم في مظاهرات عنيفة و خرب و تمرد فامتدت هذه المظاهرات كل ربوع الوطن مما زاد في اتساع الهوة بين السلطة و الشعب .

و كل هذا العنف ما هو إلا نتاج لعهد الاستعمار الذي سعى جاهدا إلى تحطيم البنية الاجتماعية التي لم ينجح ، فكانت الثورة الجزائرية انتفاضة لرجل واحد و يد واحدة مكونة من الشعب فتحطمت النظرية الاستعمارية التي عمل عليها لأكثر من قرن ، و كأن التاريخ يعيد نفسه في هذه الأحداث حيث تكتل الشعب وراء رأي واحد و مطالب واحدة في رفض الحالة المزرية باستعمال سياسة العنف و التخريب التي خلفت نتائج ثقيلة ، بينما هناك طرق ربما أفضل << ومن هذه اللحظات ما نعيشه الآن فليس هناك مبررا واحدا للعنف فقد تجاوزنا مرحلة

(16): ناظم عبد الواحد الجاسور : الجزائر محنة الدولة و محنة الإسلام السياسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الطبعة الأولى 2001م ، ص 11 .

– الإنفعال – و الحماس السلبي – و بلغ شعبنا مستوى من النضج يؤهله لأن يحكم على الأمور بوعي وواقعية و بالطرق الشرعية الديمقراطية لا بأشياء أخرى لا تخدم السلطة و لا المعارضة و لا الشعب الذي يحكمون باسمه أو يتطلعون إلى الحكم باسمه >> (17) . و هذا كله حدث بسبب الظروف التي وضعها حزب جبهة التحرير الوطني من عدم السماح لأي حزب آخر التعبير و المعارضة لعقدين من الزمن دفع الشعب للخروج و المعارضة العنيفة ، فيعتبر أكتوبر 1988 م انقلابا سياسيا شعبيا بمبدأ الديمقراطية و التعددية السياسية و التمتع بالحرية التي حرم منها ، خاصة بعد فشل الاشتراكية كنظام اقتصادي و سلطة الحزب الواحد على المستوى السياسي و أنهي قولي بكلام الدكتور **عبد الله ركبي** << إن الصراع الذي يبدو على السطح اليوم هو صراع في الأساس على الحكم و السلطة و إن لبس أثوابا ملونة >> (18) .

(17): عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دراسات و مقالات ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر، 2007م ، ص 32 .
(18): المرجع نفسه ، ص 31 .

الأزمة الاقتصادية :

تعتبر الظروف الاقتصادية التي عاشها الفرد الجزائري ربما أهم سبب ترجع إليه انفجار الأزمة و هذا ما أكده العديد من الدارسين فإذا كانت سيادة الحزب الواحد فجرت ظاهرة العنف في البلاد ، فالجانب الاقتصادي ولد مشاكل عديدة لم يجدوا لها حلولا ، بعد الاستقلال مباشرة لم تكن الدولة الجزائرية قادرة على تطبيق أي نظام اقتصادي ، فوجدت بأن الاشتراكية هي الطريق الاقتصادي الوحيد الذي يمكن انتهاجه خاصة في ظل الترسبات و المشاكل التي خلفها الاستعمار مع عدم وجود أي إمكانيات وطنية ، فاضطرت الدولة إلى استيراد الوسائل و التكنولوجيا ، التي سهر رجال حزب جبهة التحرير على توصيلها إلى البلاد بأعلى التكنولوجيا و التقنيات الحديثة و هم يعتقدون بأنهم إذا تمكنوا من ذلك بإمكانهم تسيير البلاد و تطويرها كما تمكنوا من تحريرها و طرد المستعمر منها لكنهم نسوا بأن التكنولوجيا و التقنيات الحديثة و مع توفر كل هذه الإمكانات من وسائل مادية ، إلا أنه لا يمكن تحقيق التنمية و التطور بالاعتماد على هذا وفقط سرعان ما يندثر و ينهار هذا التطور و عليه يجب إضافة جوانب أخرى تتعلق بالفرد الجزائري بحد ذاته ، فيجب تطوير عقليته و أفكاره ليستطيع التلاؤم مع هذا العالم الذي يقبل التطور العلمي السريع ، هذا العمل الذي قام به حزب جبهة التحرير الوطني باعتماده على رجاله و لكنهم لم يدخلوا الشعب عامة في مجريات هذه التغيرات فبقي مشاهدا لا مشاركا ، و لكنه متعاطف بمشاعره و مؤمنا بهذا التغير الحاصل و ملتفا حول القيادة دون ممارسة أحقيته في المشاركة في تنمية بلاده ، هذا مار جع سلبا على المصاريف التي بذلت من أجل استيراد الخبرات الأجنبية و الإمكانات اللازمة بدلا من الاستعانة بالشعب و هذه تعتبر مخاطرة عظمى فقد أصبح الشعب الجزائري لا مباليا بما يحدث في الاقتصاد الوطني

منتظرا قطف الثمار فحسب ، كما أن حزب جبهة التحرير كان لا يسمح بأي نقد أو رأي مخالف لما يقوم به ، هذا ما زاد في اللامبالاة عند الطبقة العادية من الشعب و الصمت و الاهتمام الأكبر على جني ثمار هذا الاقتصاد المستورد من دون التفكير في الآفاق المستقبلية أو بمداخيل الدولة من المحروقات التي تبلغ << حوالي97 % >> (19) ، و العائدات الفلاحية التي استغلها الحزب في التطوير فاعتبر نفسه المسؤول الأول و الأخير بالجانب التنموي دون السماح في تدخل أي صوت آخر كما اعتبر أنه من واجبه توفير كل حاجيات الشعب و رخائه مع دوام الصمت و السلطة للحزب الواحد فقط ، كما أن هذه الطبقة كالبرجوازية كانت المستفيد الأكبر من الخيرات الوطنية بمناصبها السلطوية في الدولة .

و مع دخول عصر الثمانينات بدأ العياء يظهر على المشروع الاقتصادي بداية من انهيار أسعار البترول في السوق العالمية مقابل غلاء المواد الاستهلاكية ومن نتائج ذلك من مشاكل الندرة في المنتوجات و فقد الأرض لقيمتها الإنتاجية و تراجع مردودية المؤسسات الاقتصادية و عدم مقدرة السلطة السيطرة على الأسعار و مواصلة الطبقة البرجوازية في عملها في جمع الأموال و ممارسة السلطة على عكس الطبقة الضعيفة التي ازدادت فقرا و احتياجا .

كما أن البيروقراطيين عارضوا الإصلاحات خوفا على مصالحهم الخاصة و اعتمدت على الشعارات في كثير من تدخلاته ، اعتمدت السلطة سلسلة من الإصلاحات الاقتصادية التي كانت في حقيقتها مجرد إجراءات سطحية على حسب الحال كما أن انخفاض أسعار البترول في السوق الدولي قد أدى إلى :

(19): ناظم عبد الواحد الجاسور : الجزائر محنة الدولة و محنة الإسلام السياسي ، دار المسيرة للطباعة و النشر ، ط1 2001م ، ص 11 .

- << ضعف الأداء و المردودية الاقتصادية للمنشآت و التجهيزات الحكومية
- تعميق عملية التشوه و التبعية التي تعرضت لها العملية الاقتصادية .
- العجز المالي المستمر التي بقيت تعاني منه الوحدات الإنتاجية .
- تزايد مستوى الإنفاق العام .
- توقف مستوى الاستثمارات المنتجة في قطاع الصناعة >> (20) .

و هنا تعمقت الأزمة و ظهر أن اختيار الاشتراكية كان اختيارا متسرعا حيث أن المتضرر الأول هو الشعب خاصة بعد ضغوط الديون الخارجية و التي وصلت إلى أكثر من << 26 مليار دولار و التي رمت بثقلها على الجانب الاجتماعي و السياسي و الثقافي >> (21) ، ففرضت على الدولة سياسة التقشف مع انتشار آفات خطيرة انتشرت بسرعة في المجتمع << إن العامل الاقتصادي شكل الأساس الذي تفجرت من تحته الأزمة الجزائرية بكل تفاعلاتها ، السياسية الدينية والاجتماعية ، وخصوصا في بيئة تتسم بسمات خاصة من طبيعة الشخصية الجزائرية التي اتصفت بالحدية القوية المؤطرة بالغضب السياسي للشباب الذين يشكلون نسبة عالية من المجتمع حيث ارتفعت معدلات البطالة بين صفوفه مما جعلها تعبر عن رفضها السياسي لما هو قائم بانتفاضة هزت كل الثوابت التي كانت شاخصة >> (22) .

هذه الأزمة الاقتصادية التي لم تستطع السلطة إيقافها أو التحكم فيها ، و هنا ارتفعت صرخات الشعب المتضرر الأول مطالبا بإصلاحات جذرية .

ليعلن الشعب بقوة عن رفضه و بقائه في دور المشاهد فطالب بحقه في العيش

---

(20): العياشي : عنصر : سوسيولوجيا الأزمة الراهنة في الجزائر ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت العدد 191 (1) 1995م ، ص 85 .

(21): الرجع نفسه ، ص 85 .

(22): ناظم عبد الواحد الجاسور : الجزائر محنة الدولة و محنة الإسلام السياسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع ، عمان ، الطبعة الأولى 2001م ، ص 12 .

برغد في ظل نظام اقتصادي عادل يساوي بين أفراد شعبه ويكون في ظل التعددية الحزبية ، و هنا ظهر مبدأ الحرية في المجتمع الجزائري . إن تجلي الأزمة الاقتصادية و انعكاسها على الجوانب الحياتية الأخرى و هذه التناقضات الكبرى سمح للشعب الجزائري التعبير عن رفضه و حريته .

الأزمة الاجتماعية :

لقد استفحلت الأزمة الاجتماعية منذ بداية الثمانينات ، غير أنها كانت موجودة منذ الاستقلال و لكنها احتشمت في بداية السبعينات و ظهرت جليا في الثمانينات و تمثلت في ظاهرة البطالة التي انتشرت بكثرة عند الشباب و هذا ما أدى إلى انتشار ظاهرة الفقر خاصة مع تزايد النمو السكاني و انتشار الأمراض ، و كذلك ظاهرة الأمية رغم إجبارية التعليم التي فرضته السلطة و فشل ذلك .

و مما زاد الطين بلة انقسام المجتمع إلى صنفين :

الأول : يحوي المجاهدين المشبعين بالروح النضالية ، أما **الثاني** فيمثل الشباب و الأطفال الذين لم يعايشوا فترة الثورة ، و الذين يعانون من البطالة و الفقر و المرض و الفراغ .

و ابتعاد هذين الصنفين عن بعضهما أكثر في الأفكار غير المشتركة و الرؤى << الفراغ الاجتماعي بوجود مسافات متباعدة بين الأجيال المختلفة و عدم التواصل و التزاحم بينها >> (23) . و كذلك إلى افتقار هؤلاء إلى من يرشدهم و يوجههم و يسدد خطاهم << غياب دور الأدب >> (24) ، و مما ساعد هذا الوضع على التزايد << اهتزاز السياق القيمي للمجتمع في التناقض المتعلق بالنماذج الواجب اتخاذها لكي يحقق الشباب طموحه >> (25) .

و هذا ما أدى إلى تفاقم الوضع و ظهور فجوة اجتماعية من الصعب السيطرة عليها من طرف الدولة ، و هذا ما أفرز العنف و الفوضى التي حصلت .

---

(23): لينذة عبد الرحمن عبيد : تمثيلات الأدب في الرواية النسوية العربية المعاصرة ، فضاءات للنشر و التوزيع ، ص 27 .

(24): علي ليله : الشباب في مجتمع متغير ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، 1997م ، ص 79 نقلا عن صيرورات الكتابة الروائية من إعداد حسان راشدي ، إشراف الدكتور يحي الشيخ صالح ، ص 273 .

(25): المرجع نفسه ، ص 273 .

الأزمة الثقافية :

إن تأزم الواقع الاجتماعي ولد تأزما في الواقع الثقافي << فللأدب وظائف اجتماعية متعددة >> (26) ، و هنا مهمة الأدب أن يعبر عن واقعه الواقع المملوء بالتيارات المتضاربة أربك المثقف الجزائري و خاصة بعد تلك الأحداث الأليمة فهي تتطلب وعيا ووقتا لاستيعاب ما يحصل كما يقول **عبد الله الركيبي** : << أنه يشعر شعورا قويا بأن أي إرهاب مهما كان مصدره لابد أن يمنع الأديب من القيام برسالته و يعطل سلاح الكلمة من أن يحقق مفعوله في النفوس >> (27) خاصة بعد أحداث أكتوبر 1988م و أعمال العنف حيث عبر عن هذا **عمر بن قينة*** بقوله : << مثلت الانتكاسة السياسية ثم الثقافية و الفكرية و الأدبية فترة انكماش ثقافي أشبه بالغيبوبة >> (28) ، خاصة بعد صدمة الانقلاب على جميع المستويات و التدمير و الانكسار الذي أحدث جمودا إلى إشعار آخر ، لأنه كانت الثقافة و لا تزال من وجهة نظر السلطة أنها نابعة للفعل السياسي و تقوم على تبريره << فإن هناك من يتصور أنها الثقافة علاقة تبعية ، و ما دامت السياسة قد تعددت و تنوعت مشاريعها فإن الثقافة ينبغي بدورها أن تتعدد و تتشكل حسب التشكيلات السياسية فهل هذا صحيح >> (29) .

الثقافة في هذه الفترة وقفت موقفا باهتا حائرا لا مساندة و لا حتى معادية و كأنها في مرحلة إعادة الاستيعاب لما يحصل بسرعة و على جميع الأصعدة ، و هذا ما

---

(26): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ص 275 .

(27): المرجع نفسه ، ص 252 .

(*): من مواليد الجنوب الجزائري ، عمل في مختلف مراحل التعليم ، وهو أستاذ محاضر بجامعة الجزائر المركزية ، كتب بصحف و دوريات مختلفة بالجزائر و خارجها في الوطن العربي و سواه كتب المقالة العربية و الخاطرة ، و القصة القصيرة و الرواية .

(28): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ط2، الجزائر، ص 41 .

(29): عبد الركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دار هومة للنشر و التوزيع ،الجزائر، 2007م ص 16 .

ترك فراغا ثقافيا خاصة عند الشباب و هذا ما ألزم المثقفين الجزائريين محاولة إعادة بعث الروح الوطنية و القومية الجزائرية خاصة لدى الشباب الجزائري و عدم محاولة الهروب و الابتعاد << فإحساس الشباب بالفراغ الثقافي و الفكري و الحضاري يخلق في وجدانهم نوعا من التنكير و الازدراء لقيمهم و مثلهم فيسخطون على من سبقوهم لأنهم لم يتركوا لهم تراثا يسندهم و ينمي إرادتهم في الحياة و إحساسهم بها >> (30) .

فيعرفوا تماما قيمة التضحيات التي قدمها من سبقوهم و يقدروا ذلك ليجعلوا المصلحة الوطنية تعلوا فوق كل شيء و هذا فعلا ما قام به العديد من الأدباء في هذه الأزمة و منهم الأديبة **زهور ونيسي** التي حاولت إحياء التراث الوطني و الثوري في رواياتها مثل رواية (**لونجة و الغول**) .

و هناك بعض الروائيين الذين فضلوا مواجهة الواقع و رفضه مما خلق توترا و قلقا << القلق بالطبع يستمد وجوده من تجربة الكاتب مع العالم الخارجي >> (31) ، و حتما على الأديب الجزائري أن يتعامل مع هذه الوقائع بطريقة أو بأخرى سواء بالمصالحة مع الواقع ، أو التذكير بالثورة لإحياء المعالم الثورية و هذا ما يميز الأديب على الآخر و بتجربة الأديبة عن الأخرى ، فالأدب تجربة ذاتية << تنشأ من النظر إلى الواقع بطريقة معينة >> (32) ، و مع تعدد النظرات إلى الواقع و التعامل معه ، هذا الوضع خلق اختلافا في الآراء و هذا ما زاد في اتجاهات الرواية و وسع نطاقها << السبعينات عقد الرواية الجزائرية و تبلور اتجاهاتها >> (33) .

---

(30): عبد الركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر 2007م ص21 .

(31): واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، ديوان امطبوعات الجامعية ، ص 94 .

(32): المرجع نفسه ، ص 94 .

(33): المرجع نفسه ، ص 89.

الأزمة الدينية و العقائدية :

رغم الظروف الاستثنائية و الظروف الجذرية خاصة على المستويين السياسي و الاقتصادي ، و ظهور العديد من الاتجاهات ، حيث ظهر على المستوى الديني حزب الإنقاذ الذي قام بالعديد من المسيرات الشعبية ساخطا على فشل النظام الاقتصادي و الأحادية الحزبية لحزب جبهة التحرير الوطني و قد اعتمد في هذه المسيرات على مبدأ الانتفاضات الشعبية و المظاهرات التي غلب عليها العنف هذا قبل أن تصل المطالب إلى الجانب الديني الذي قام بتحديد المطالب السياسية و الاجتماعية حيث طالب بالتعددية الحزبية وبذلك القضاء على الفساد الذي عم سياسة البلد ، و نظرا لهذه المطالب التف حوله الشعب و سانده و بخاصة الشباب لما يوجد من تطابق في المطالب الشعبية و الدينية الإسلامية التي اتبعها الشعب بروحه و عقله وأمدها بكل ثقته ، و ذلك لتوافقها مع آرائه الإسلامية منها و اعتبرها ممرا آمنا يمر منه و يصل إلى تحقيق طموحاته السياسية و الاجتماعية و قد فضله الشعب على غيره من التيارات الأخرى مثل : التيار الديمقراطي .

و قد بين التيار الديني المبادئ الإسلامية و جعل من الدين الإسلامي الحنيف مرجعية له ، فهو يدعو إلى كل ما هو إسلامي من أخلاق حميدة إسلامية .

و قد ظهرت عدت قوى إسلامية تجسدت في ثلاث اتجاهات :

1- **الاتجاه الأول :** الجماعات المسلحة التي رفضت إضاعة الوقت مع النظام و دعت إلى الإطاحة به .

2- **الاتجاه الثاني :** الجماعات المعتدلة التي كانت تطالب بالحد الأدنى من الديمقراطية حتى لا تقلق السلطة ، و تسعى إلى التعددية و لكن دون خلاف مع الدولة إلى الإطاحة بها .

3- **الاتجاه الثالث :** (تيار جبهة الإنقاذ) الذي راهن على الديمقراطية و قد اعتمد في مواجهته على جماهيريته ، و الشعب الذي التف حوله بكثرة ودخل الانتخابات الذي لم يسمح له باعتلاء السلطة ، فانقسم إلى قسمين :

الأول ينادي بالجهاد و يعتبره الوسيلة الشرعية لاستعادة حقه .

و الثاني اختار التمسك بالديمقراطية خوفا من نتائج العنف على الشعب و هذا ما أوصل الجزائر إلى ظاهرة الإرهاب و العنف بسبب السلطة و اختلاط الأوراق .

إن تجلي الأزمة السياسية ولد تجليا في الأزمة الاقتصادية ، وذلك ما خلق أزمة اجتماعية على جميع الأصعدة إن انبثق من كل هذا أزمة ثقافية .

و هذا ما ألزم العودة إلى الماضي و الذاكرة لمحاولة التذكير و نشر القيم الثورية الجزائرية لأجل خلق روح وطنية عند الشباب الجزائري الساخط على الأوضاع المزرية .

و بعد هذا العنف و الشحنات السياسية .

الرواية عبرت عن كل ذلك بخجل و حاولت البحث عن حلول :

كيف يمكن التعايش مع مثل هذا الواقع ؟

كيف يمكن البحث عن حلول للابتعاد أو الهروب و ربما المواجهة لحل هذه المشاكل التي تكمن في كل المناحي السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و الدينية التي ولدت أزمة ثقافية أيضا ؟

لقد اقتحمت المرأة الجزائرية ميدان الكتابة رغم نظرة المجتمع التناقضية لها ، فقد اكتسى تحدي المرأة الدائم في الحياة إلى تألقها في جميع المجالات الحياتية و خاصة الإبداعية ، فهي لم تبق معزولة عن الأحداث فكانت دائمة الاهتمام و التشجيع للمرأة و شؤونها ، فهذه الجهود أثبتت وجود الكتابة النسائية على الساحة الأدبية فانطلقت لمعالجة المواضيع الاجتماعية و السياسية ، والوقوع فيما كان محضور و كأنه أمر عادي من حقها تناوله ، و قد شهدت الساحة الجزائرية قبل و بعد الاستقلال بعض الكتابات النسائية ، بعضها يكتب عن ما عانته المرأة من إهانة و تهميش أو الحديث عن همومها و مشاكلها مع إثبات للذات الأنوثية ، ولقد كانت المواضيع السياسية من العوامل المؤثرة على وضع المرأة فهي تنفعل معها دون أن تكون عنصرا فاعلا فيها ، فرصدت الأزمات السياسية الواقعة في فترة السبعينيات و التي شهدت أوضاع متردية تواصلت إلى التسعينيات ، وهذا ما جسدته **زهور ونيسي** في روايتها **لونجة و الغول** ، فعبرت عن جزائر الأمس أثناء الاستعمار و عن أفرادها الذين ناضلوا بأرواحهم من أجل الاستقلال و تحرير البلاد ، و لم تهمل المواضيع الاجتماعية ، **فزهور ونيسي** ترى << هو علاقة تفاعل و انسجام و رفض بين الواقع و الفنان ، إنه الصورة الطموحة التي تود أن يركن إليها الإنسان ... و الفن الملتزم شعرا أو رسما أو نحتا أم لحنا قيمته تنبع من مدى قدرته على الاستجابة لمتطلبات الشعب مدى ارتباطه بحياة الإنسان بآلامه بآماله ، و الفنان هو جسر إحدى ركيزتيه في الماضي ، و الأخرى في المستقبل ليرسم لوحاته الأصلية بآلامه من خلال الحاضر >> (34) .

(34): جعفر يايوش : الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، طبع بمطبعة وهران 2006م ص 150 – 151 .

قالت **فضيلة الفاروق** : << الجزائر بغض النظر عن الموضوع المقترح عامة مادة تاريخية و كان من الممكن استثمارها لكتابة سيناريوهات إنتاج أفلام جميلة و رائعة ، كان من الممكن أن تستثمر شعرا و رواية و لكننا مشينا في الاتجاه الخطأ ، كتبنا كثيرا عن خيبتنا في النظام و من استفادوا من السلطة بعد الثورة ... التاريخ طبعا مادة مهمة للرواية ، و لعل الرواية بإمكانها أن تقول مباشرة البعض من تاريخنا و حقائق تخص بلدنا >> (35) .

(35): مجلة الثقافة ، صدرت بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربي 2007م ، ص 149 .

الأديبة " الهروب من الواقع " :

الأدب في مجمله هو تعبير عن المجتمع << فالواقع الإنساني بهذا الاعتبار هو المادة الأولى التي يستوحيها الأديب في التعبير عن مشاعره و مواقفه ، و يتجسد هذا الواقع في حياة هذا الإنسان في بيئة معينة وفي وضعه الاجتماعي بما يطبعه من بؤس و رخاء >> (36) .

و رغم الحالة السيئة للأحداث في الجزائر في فترة الثمانينات و التسعينات و تدهور الحياة بوجود الإرهاب الذي عاث في الأرض فسادا ، ظهر بعض الروائيين و أعلنوا تمرهم و رفضهم لهذا الواقع خاصة على المستوى الاجتماعي المتدني بانتشار القتل و العنف و الرعب و كل عبر على حسب رأيه فمنهم من اختار المواجهة و الحديث عن الأزمات و الكتابة فيها ، و مع هذا لم تستطع الرواية الجزائرية فهم الواقع فهما واضحا و التعبير عنه بنفس الوضوح و تبرير الأزمة الواقعة و أغلبيتهم كتبوا بعد انتهاء الأزمة ، و لكن الحاضر بكل تغيراته و صدماته بعث الأدباء إلى الذاكرة حيث اختاروا العودة إلى التاريخ و اعتبروا أن الحل في هذه الأزمة بالرجوع إلى القيم الثورية و إلى مثالية الثورة و محاولة تجاوز هذه الأزمة كما تجاوزت مآسي الاستعمار و التغلب عليه كما قالت **زهور ونيسي** : << إن التاريخ أرضية ضرورية لنماء الفكر الإبداعي و حتى غير الإبداعي ، و هو طريق طبيعي للدخول في عالم الحداثة ، لأن الحداثة في حد ذاتها هي أحداث إنسانية ماضية ، ينظر إليها الآن من زوايا مختلفة حديثة ، لم يتم التطرق إليها من قبل ، و على هذا الأساس فإن الحداثة ليست قطيعة معرفية بين الماضي و الحاضر بل معرفة على معرفة و تجارب على تجارب أخرى ...

(36): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص 290 .

تراكم معرفي و تجريبي لا تستغني عنه الإنسانية >> (37) ، فمن خلال هذا التراكم ندرك ما يحدث في الراهن ، فنستطيع التعبير عن الواقع و لو بشكل رمزي من منظور تاريخي الهدف منه القضاء على هذه الأزمة بالتذكير بالبطولات الثورية و الانتصارات << قلوبنا تخفق بحب الوطن و في الوقت نفسه ترتجف خوفا على أغلى شيء في الوجود و هو هذه الأرض التي فتحت صدرها لنا جميعا و احتوت آلامنا و أحلامنا و رسمت ملامح وجودنا ، ونخشى ما نخشاه أن تجرفنا الأحداث إلى وضع يصعب التحكم فيه أو الخروج منه إذا حكمنا العاطفة أو المصلحة الضيقة أو الكبرياء المفتعل أو التجاهل السلبي أو الغضب الأعمى الذي يسوقنا إلى هوة سحيقة لا قرار لها >> (38) .

وبذلك نصل إلى أنه حين مواصلتنا للصراعات على السلطة بين الأحزاب بحماس سلبي و مستوى غير ناضج لن يوصل البلاد إلا للهلاك و الدمار بلا مبرر سوى البحث على الحكم فنحن << لسنا بدعا بين البشر فذلك من طبيعة الناس و الحياة منذ فجر التاريخ تحت أي مذهب أو عقيدة أو فكرة و لكن الخلاف في الأدوات و الوسائل و الطرق و سواء حركته المثل أو المصلحة و قاده المؤمنون أو الجاحدون بالطرق الشرعية أو غيرها ، وسواء كان هادئا أو عنيفا فالقضية الأساسية هي- حكم الآخرين – و المفروض أن يكون هذا لمصلحتهم لا لمصلحة طائفة أو جماعة أو فريق على حساب المجموع أو الجميع >> (39) .

و هذا ما وجدناه في السلطة الجزائرية هذه الفترة << حيث نعود إلى تاريخنا القريب نجد الصراع على السلطة متواصلا ، أحيانا استدمت فيه الحجة و المنطق

(37): زهور ونيسي : مجلة الثقافية (الرواية العربية التاريخ و الترجمة) الصادرة في 9 يناير 2007م ص 290 .

(38): عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دراسات و مقالات ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر ، 2007م ، ص 31 .

(39): المرجع نفسه ، ص 31 .

و أحيانا أخرى القوة و العنف ، و سالت دماء طاهرة زكية و ارتكبت أخطاء من أطراف كثيرة و كل يبرر لها وقع و يلتمس الأعذار تأييدا لموقفه و اتجاهه ، وقد يجد الناس مبررا للعنف في فترة ما أو مرحلة ما و لكن في لحظات أخرى لا يوجد مبرر لذلك >> (40) ، و في الأزمة الجزائرية لا يمكن التبرير لظاهرة العنف و الالتجاء للقتل و نشر الرعب لأجل الوصول إلى الحكم ، فهي أعمال لا تخدم السلطة و لا المعارضة و لا الشعب الذي يتطلع لحكم عادل وفقط .

أما على المستوى الأدبي و الرواية على وجه الخصوص فقد وجدت البديل و هو الهروب إلى الذاكرة – كما تحدثنا من قبل – ففي خضم هذه الأحداث لا يمكن للأديب أن يهرب إلى المستقبل و الحلم فهو لا يجد أمامه سوى الذاكرة التي يحاول من خلالها أن يكون فعالا و مغيرا في المجتمع بطريقة ما << إن المزج بين – الاجتماعية – و – التجربة – هو الذي يخرج أدبا واقعيا تتوفر له شروط السمو و الفعالية >> (41) ، كما قالت **زهور** : << إن جنس هذا الكم المتصل من التجارب الإنسانية ، يفرض على التواصل بين الأجيال الأدبية عبر التناص المترابط دائما و غير المنفصل ، لأن الثقافة لا تأتي من الفراغ أو الخيال وحده بل تأتي من هذا الكم المتراكم من التجارب الإنسانية التي تصبح فيما بعد أحداثا تاريخية في الزمان و المكان ، ولا يعني هذا التواصل اكتساب الثقافة القديمة بلورتها >> (42) ، فالمبدع الروائي له حريته في إعادة كتابة التاريخ فهو ليس مؤرخا بل هو محلل << للتاريخ أهداف و غايات تنير طريق البشرية من جديد

---

(40): عبد الله ركيبي : الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دراسات و مقالات ، دار هومة للنشر و التوزيع الجزائر 2007م ، ص 32 .

(41): محمد مصايف : النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر ، ص 299 .

(42): زهور ونيسي : مجلة الثقافة (الرواية العربية التاريخ و الترجمة) الصادر في 9 يناير 2007م ص 151 .

نحو الخير ... باستفادتها من دروس التاريخ >> (43) ، فالثورة الجزائرية مرجع هام للأديب و منطلق ينطلق منه للإشادة بالبطولات و التضحيات الواقعة بكل صدق ووطننا – بكل المقاييس – لا يستحق ما هو فيه بل يستحق الحب و التضحية و الإيمان بمستقبل أفضل كم رسمه شهداؤنا و أبطالنا على مر التاريخ وهنا نلاحظ العلاقة الوطيدة بين السياسة و الرواية . فحينما أحس الروائي بتلك المشاكل التي إلا ما تعتبر سياسة ذهب إلى من يريحه من مرجعيات تاريخية و إسقاطاتها الواقعة كما حدث في رواية (**لونجة و الغول**) **لزهور ونيسي** << فالتاريخ مادة لتجربة ، تجربة حياة إنسانية و التجربة قابلة للحكي و السرد علما بأن الخطاب الروائي بمكوناته و خصائصه يندرج ضمن الخطاب الحكائي و السردي ، و الذي يقوم أساسا على المحكي ، القصة ، الرواية و الحكاية الشعبية >> (44) .

<< فالتاريخ يحوي الحدث الإنساني بجميع تفرعاته و اختصاصاته من سلوكيات و معاملات و حرب و سلم و حب و كراهية و بناء و هدم ... >> (45) و تاريخنا رسمته الثورة الجزائرية الوطنية التي فرضت نفسها على الإبداعات الروائية بما حملته من قيم تستوجب الكتابة فيها ، ففي ظل هذه التحولات التي حدثت على الصعيد السياسي و الاقتصادي و الاجتماعي الفينة خلال التسعينات – فترة كتابة الرواية – نجد أن الرواية رجعت لزمن الثورة أو قبلها بقليل بصفتها مناضلة عايشت الزمن الجميل ، وهذا الأمر أثار أسئلة كثيرة :

لماذا اتجهت الأديبة للكتابة عن الثورة في زمن التحولات في رواية " **لونجة و الغول** " ؟

---

(43): زهور ونيسي : مجلة الثقافة (الرواية العربية التاريخ و الترجمة) الصادر في 9 يناير 2007م ص 151 .

(44): المرجع نفسه ، ص 151 .

(45): المرجع نفسه ، ص 151 .

رؤية الواقع عند الروائية في " لونجة و الغول " :

(الواقع) هو عنصر أساسي في الفكر الروائي الجزائري ، فالرواية في حالة ما إذا لجأت إلى التاريخ و العودة إلى الذاكرة تضع الواقع كمرجعية لها لأنه نتيجة حتمية للماضي ، فلا يمكننا أن نفهم حاضرنا إلا بعد فهمنا لماضينا دون انغلاق أو انحباس فيه ، لا يمكن للأديب أن يقف موقف المتفرج من الراهن مهما حاول الحياد .

إن اهتمام الرواية الجزائرية بواقعها المعاش يعتبر ميزة منذ مطلع الخمسينيات و استفحلت في التسعينيات ، فالأديب الجزائري بطبعه مولوع بقضايا مجتمعه مهما ما نجده من اختلاف في الرأي .

فإذا كانت الثورة الجزائرية سيلا فياضا للكتابة و الإبداع الذي ينهل الروائي من خيرات النضال و البطولات المجيدة ، نلمس هذه الالتفاتة للوراء و هذا ما نجده في روايتنا " **لونجة و الغول** " ، هذه الرواية التي ارتبطت كتابتها بمرحلة اضطراب و تحول من التاريخ الجزائري التي مست هويته و ثقافته ، هذا الواقع القاسي الذي غابت فيه القيم الوطنية و سيطر فيه الصراع على السلطة بالدرجة الأولى و عدم وجود التوازن ، حاولت الأديبة زهور ونيسي في هذه المرحلة المحرجة تحقيق التوازن الفكري و الفني من خلال استذكار للماضي المشرق و قيم الثورة و حب الوطن و الدفاع عنه ، وهذا له دلالة بالنسبة للحاضر حاولت أن تذكر بتضحيات الشعب و صموده على مواجهة الاستعمار و افتكاك حريتة من بين يديه ، وهذا ما جعل الروائية متدفقة الأفكار متسارعة متحمسة في ذكر الوقائع ، فهذه الرواية وقفت بنا وقفة طويلة أمام هذه الظاهرة – ظاهرة الاستعمار – فتعمقت في انعكاسات الظروف الاجتماعية و النفسية للطبقة الشعبية فساقت لنا ذلك من خلال عائلة جزائرية بسيطة .

إن الفترة التي عاشتها الجزائر قبل الاستقلال من حالة اجتماعية رديئة من انتشار للفقر تجلى هذا من خلال الشخصية المحورية فيما يسمى بالمونولوج فمليكة و هي الشخصية الرئيسية تعيش صراعا داخليا برفضها للوضع البائس الذي تعيشه ، فهي تظهر كثيرة التفكير و الكتمان بطرحها لأسئلة داخلية << لماذا وجد الفقر ؟ .. أليس من العدل أن يتداول الناس على الفقر و الغنى؟ (46) ... لماذا خلق الناس كذلك فريق غني و آخر فقير و كلاهما يملك عقلا و سواعد و مروءة ؟ >> (47) . إنها الأسئلة التي كانت تدور فكر مليكة تسيطر على اهتماماتها و هي تعكس وعيا ناضجا و فكرا متقدا و حبا للحرية لكن مليكة لا تزال صغيرة السن << ما كان يزخر به الصدر الصغير من انفعالات و تساؤلات >> (48) . مما زاد من معاناتها صعود أخيها إلى الجبل للجهاد في سبيل الحرية ووفاة والدها إثر قنبلة بالميناء ، و بعدها صعود زوجها الأول أحمد و التحاقه بصفوف الثورة و وفاته و زواجها مرة ثانية من أخيه كمال و استشهاده هو الآخر ، فمليكة هنا تحمل قيما دلالية حاولت الكاتبة التذكير بها فتظهر و كأنها تدفع ثمنا باهضا من أجل الاستقلال ، مع عدم قدرتها على التغيير ، من هنا نجد أن **زهور ونيسي** و عن طريق شخصيتها المحورية الرافضة للوضع الاجتماعي بكل جوانبه الإيجابية و السلبية بتواجد الاستعمار الفرنسي أنتج مجتمع دائم الخوف مجتمعا لم يعط المرأة حقها << المرأة قيمتها أن تلد و تنجب و ليس في شيء آخر كل واحدة و حظها >> (49) وهذا ما يقدم لنا زيادة في الهموم الذاتية التي تأخذ أبعادا اجتماعية ويظهر ذلك من خلال حب مليكة للتغيير و الوعي

---

(46): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، 1993م ، ص 9 .
(47): المصدر نفسه ، ص 9 - 10 .
(48): المصدر نفسه ، ص 9 .
(49): المصدر نفسه ، ص 15 .

الذاتي للشخصية لنفسها ، هو بمثابة واقع من الدرجة الثانية ، في هذه الرواية نجد انتكاسة للمرأة و انتصار الرجل ، فهي تعتبر وعاء للجنس و الإنجاب << مليكة لا تتذكر أنها رأت أمها فترة هكذا ، دون هذه البطن المنتفخة تارة أو مخرجو ثديها لترضع به أخاها أو أخت و رغم ذلك فهي لا تشك من كل ذلك >> (50) .

وهذا الوعي في حقيقة الأمر هو وعي الأديبة لواقعها الاجتماعي فالوظيفة الأساسية للرواية هي تطوير الواقع الاجتماعي و إيجاد حلول ، فلا يمكن للكاتبة أن تصرح برؤيتها مباشرة في الرواية إلا أنها جعلت من شخصية مليكة المعادل لشخصيتها الخاصة ، و الدليل على ذلك سيطرة الراوي في مجمل الرواية ، فصدمة الواقع مأساة إنسانية ، التي كان سببها الأول الاستعمار مع اختلاف المتسبب في المأساة الإنسانية فترة الحاضر .

فيتحدث الراوي عن شخصية الأم التي تظهر راضية بمصيرها ، فهي تمثل الماضي و الحاضر بسلوكها ، و لأن الماضي يمثل في الأم التي ألفت الراوي انتباهنا لها ، هذه الأم رغم لمعاناة و الفقر و البؤس إلا أنها تظهر راضية هانئة << تبدو سعيدة و هي تراهم يأكلون في حالة من الرغبة و النهم شديدة >> (51)

أما مليكة فهي تمثل الحاضر بمعاناته الداخلية في صمت و دون مقدرة على التغيير ، فالرواية و هي تلجأ إلى استرجاع الماضي و استدعائه موازيا للراهن فلا يمكن للكاتب أن ينسلخ من واقعه ، ولكنه يمكن أن يتخفى وراء عمله و يعبر عنه ، فمليكة هنا و كأنها واقع الكتابة خاصة و أنها تظهر فاترة و باردة و سلبية ولا تناسب عظمة تلك الفترة بنضالها و شموخها << لتستحيل مليكة في النهاية إلى رمز للمرأة الجزائرية و إلى الجزائر بصفة خاصة >> (52) و تكون بذلك

---

(50): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، 1993م ، ص 11 .

(51): المصدر نفسه ، ص 11 .

(52): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر الطبعة الثانية 2009م ، ص 257 .

<< الشخصية الرمز >> (53) . في هذه الرواية الرمزية التي أضفتها على الشخصية في آخر الرواية . فالرواية عندما تلجأ إلى استرجاع الماضي و العودة إلى الذاكرة تضع الواقع كمرجع لها ، فتظهر الأديبة و كأنها على مسافة بعيدة و لكنها تحاول إيجاد و إعطاء حلول من خلال الرواية ، من خلال تذكيرنا بالأمجاد و التضحيات التي بذلت في سبيل نيل الاستقلال و العناء و البؤس الشديدين اللذين مسا الأسر الجزائرية .

فعملت الروائية على طريقة الاسترجاع و بذلك تمطيط الفترة التاريخية بعدم تحديدها للزمن << فجأة يأتي قائد الجيش بوجه مذعور ليقول : مولاي الملك : أن المدينة قد سقطت و العدو يجول في الأسواق ، و يأخذ الأموال و يسبي النساء و الأطفال و لم يبق إلا الهرب >> (54) ، حيث << تنطلق من الإشارة إلى 1830م بانتهاء العهد العثماني و سقوط البلد تحت الاحتلال الفرنسي فتدور بين القصبة و الميناء في مدينة الجزائر ، ثم تتركز حول الثورة الجزائرية – 1954م- 1962م – فمجالها يستمد تلك : إرهاصات أولى و إعلان في أول نوفمبر و تتويجا بالاستقلال >> (55) .

ومع أن الروائية ركزت على فترة الثورة و كأن الرواية تشير إلى طول البؤس الذي عاشه الشعب بالإشارة إلى طول مدة الاستعمار منذ بدايتها و إبراز مدى معاناته ، هذه الرواية التي ركزت على ماضي النضال الوطني .

كما نجد في الرواية التفكك الأسري يظهر لنا و كان الأسرة رباط تقليدي و فقط ، وهذا ما نجده عند رشيد حينما قرر الالتحاق بالجبهة و أخبر والده الذي

---

(53):بشير بوجريو محمد : الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ص 101 .

(54): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر، 1993م ، ص 21 .

(55): عمر بن قينة : في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر الطبعة الثانية 2009م ، ص 254 .

لم يدرك النوايا الحقيقية لمخاطرة إبنه ، و كأن الوالد يعيش في عصر غير عصر ابنه ، عندما أخبر رشيد والده بأنه مطارد و سيبدءون عملية البحث عنه حيث << نطق الأب مكملا جملة ابنه و عينه فيها نظرة من الاستهزاء الطاغي على الخوف الشيء الكثير >> (56) .

فهذه الحالة التي عاشتها الأسرة الجزائرية في الثورة من تفكك أسري نجدها في الواقع الجزائري الجديد واقع ما بعد الاستقلال ، وما حملته الأسرة من تفكك و حالة ضياع أسري و ابتعاد في الفكر و القناعة بين الشباب و الشيوخ هنا الكاتبة لم تستند إلى أسرة من الواقع بل اكتفت بتقديم صراع اجتماعي في عهد الثورة و ما يدل هذا إلا على سعة استيعابها و إدراكها للواقع و محاولة لفت للانتباه للأسرة الجزائرية .

هذه الرواية هي تجربة ذات أبعاد رمزية و دلالية تعطي معنى للحياة و مثالية لمحاولة بناء واقع سليم ، فهي تعمل رمزية كبرى ندركها من خلال قدرة الكاتبة على التعبير عن الواقع الاجتماعي و الجمع بينه و بين الفني الروائي و هدفه الأسمى هو التغيير للأفضل و البحث عن حلول أينما وجدت .

إن الحديث عن موضوع الدين لم يرق الانشغال به إلى الانشغال الذي وجد في الجوانب الأخرى ، نجد الدين في " **لونجة و الغول** " يتحول إلى أسئلة عن الله و عن العدالة الاجتماعية ، و عن أسباب التوقف عن الإنجاب لأنه خوف من الله ، تظهر لنا هذه الأفكار لا تتناسب مع أفكار فتاة في مثل هذا الزمن مع العلم أنها غير متعلمة و غير فعالة و ما يوصلنا إلى تناقض في بنية النص وهو ذهاب مليكة لزيارة الولي الصالح من أجل إنقاذ زوجها من الموت << إنهم جميعا يقصدون اتجاه واحد – سيدي عبد الرحمان – مقبرته ، يقصدون بركته و نذر

(56): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ،1993م ، ص 53 .

النذور ... و سيدي عبد الرحمان الرجل الصالح هو معبر إلى الله >> (57) .

فكأن الروائية عبرت عن أفكارها لا شعوريا في الفقرة الأولى و نجد عودتها إلى شخصية مليكة في الفقرة الثانية و هنا نلمس خلطا عند الكاتبة بين أفكارها و أفكار مليكة بيت الثورة .

و يمكننا أن نستنتج أن **زهور ونيسي** فسرت دوافع و أسباب قسوة و حدت الفرد الجزائري أثناء الثورة لتبرر تصرفات و قساوة و حدت الفرد الجزائري في الحاضر المعيش .

- زهور ونيسي هي شخصية ثورية تحمل من الحس الثوري الروح الوطنية الكثير ، فقد عايشت هذه الفترة الصعبة التي مرت على الجزائر ، و هذا ما حاولت إبرازه في كتاباتها ، فالرواية هي أفضل صورة لتبين المساهمة الفعالة للمرأة في الكفاح ، و تمثل ذلك في شخصية المرأة التي تأتي إلى بيت مليكو ملتحفة بحايك أبيض حيث أخبرت مليكة بالتحاقها بالجبهة الثورية ، و أنها امرأة لشهيد قام الاستعمار الفرنسي بإعدامه ، و كذا استشهاد عمها و والدها في أحداث 1945 بخراطة ، و هي امرأة واعية متعلمة تدرك جيدا ما تقوم به بكل قناعة و تفكير في استرجاع الحق لكل جزائري فقد عزيزا .

و كذا شخصية خالتي البهجة التي كانت تعمل بحمام الحي و هي أمية تقوم بأعمال الدعاية لصالح الثورة ، و هاتان المرأتان مثال حي عن المرأة الجزائرية بشقيها المتعلم و الأمي و مساهمتها في الثورة على حسب قدراتها و إمكانياتها .

---

(57): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، 1993م ، ص 122

و هذا جانب مشرق للمرأة الثورية و توضيح لدور المرأة إلى جانب الرجل بكل ما تملكه من أجل هذا الوطن الغالي .

و مع كل هذه التضحيات إلا أننا نلمس تقصير الرواية الجزائرية و عدم تمكنها لعكس مثل هذه الشخصيات الواقعية ربما هذا من أهم أسباب العودة الى الذاكرة محاولة المحافظة على مثل هذه الشخصيات في عقول الأجيال ، و خاصة الدور العظيم للمرأة الجزائرية المكافحة و ترسيخه في الأذهان في كل الأزمان .

و غي رواية " لونجة و الغول " قامت زهور باشتقاق شخصيات عظيمة تدافع عن حق الوطن بكل ما تملكه و تأكيد على دور المرأة الثورية في الكفاح ضد الاستعمار ، إن طرح هذا الواقع بهذا الشكل قد يكون القصد منه الحنين الى الماضي ، و في الرواية نجد تصاعد مستمر في الأحداث نحو التأزم ، و كشفت نهايتها عن فاجعة كبرى (موت بطلة الرواية) و كذا تعبير صارخ عن استمرار الحياة و عدم انقطاعها بل أمل جديد يبعث الطمأنينة في النفوس ، إنما يدل على استعادة الحياة من جديد بميلاد فجر جديد لإبنة مليكة و خروجها بسلام إلى الحياة ، ميلاد جزائر جديدة ، جزائر الغد .

و قارئ هذه الرواية يلمس بسهولة ذلك الترابط بين الشخصيات و الأحداث التي كانت تسود الجزائر قبل الثورة من اضطهاد و ظلم و استعباد و مآسي ، و تمكنت من ذلك من خلال وصف المجتمع .

ورغم ذلك الفقر المدقع الذي يتخبط فيه الشعب الجزائري إلا أنه لم ينس القيم و المبادئ ، فالعم سحنون و رشيد و أحمد و كمال و مليكة و البهجة ، كل شخصية من هؤلاء تحاول صيانة القيم الروحية و الإنسانية التي ورثها الشعب عبر العصور ، و من ذلك إيمانهم بالقضاء و القدر و أن ما أصابهم قضاء من الله و

الحل الأول في ذهاب هذا البلاء هو الدعوة إلى الله و الإيمان الكامل في إجابته و بذلك الإستقلال ، و نلاحظ أن الكاتبة اتبعت سياق واحد يكمن في المواجهة رغم الوضع و المشاكل الكبرى إلا أن الوطن هو الأولى في اخذ تفكيرنا << توقف الناس عن الشكوى من الفقر و التعب و من ظلم بعضهم البعض ، و كأن حدودا وضعت بين الناس في البيت الواحد ، و الحي الواحد ، بل و حتى أفراد الأسرة الواحدة علاقات اجتماعية جديدة ، ليس فيها من الحقد و الضغينة شيء >> (58)

في هذا الوقت يقوم رشيد بالتطوع في صفوف المقاومة و تأثر مليكة بقرار أخيها و دخولها في تأملاتها ، و سرعان ما تعود الأديبة إلى الخط الأولي العام في الرواية ، لتتسع الى الوطن و كأن الأديبة تستعيد نضالها ضد الإستعمار الفرنسي و محاولتها الشديدة لتوثيق ذلك في ذاكرة وطنية حية ، و هي الرواية ، هي تقوم بمحاولة تناسي جميع المشكلات التي وقعت فيها الشخصيات ، و اهتمامها بالمشكل الأكبر و هو البحث و الحرص على الحرية .

و في مقالة لمحمود عزام << " لونجة و الغول " مشروع نبيل للكتابة عن الوطن و الثورة و المقاومة و الحق و الأمنيات العظيمة ، مشروع تكتبه زهور ونيسي بصدق حقيقي لا مراء فيه ، يؤكده تاريخها النضالي الطويل و تجربتها الكفاحية في صفوف الثوار الجزائريين لكب نبل الهدى و عظمة القيم التي تدعو إليها تؤثر على البناء الفني بكامله ، فلا تتردد الأديبة في كسر السياق الروائي ، إذ تطلب الأمر ذلك ، و تتأخر عن التدخل ، خوفا من أن يساء تفسير تأملات البطلة >> (59) .

(58): زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار دحلب ، الجزائر ، 1993م ، ص 83

(59) عزالدين جلاوجي : زهور ونيسي –دراسات نقدية في أدبها ، بقلم محمود عزام - صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة 2007 ص 46

و الحياة العامة في تلك الفترة و كذا ما عاناه الشعب الفقير على وجه الخصوص و بذلك سيطر العنصر التاريخي في الرواية و اتباعها للأسلوب المناسب لتلك الفترة ، و قد حملت أكثر من عنصر محرك للراوية .

الخـــاتمة

الخاتمة : من خلال هذا البحث المتواضع وصلنا إلى النتائج التالية :

1- هناك أسباب كثيرة أدت إلى تأخر ظهور الرواية الجزائر أغلبها راجع لسياسة الاستعمار التي اتبعها في محاولة منه للقضاء على الهوية الجزائرية عند الفرد الجزائري .
2- عودة أغلب الكتاب للموروث الشعبي كوسيلة لإيصال الأهداف الموجودة بطريقة أسهل و تثبيتها في ذهن القارئ .
3- الرواية رمزية بالدرجة الأولى ، و يتجلى هذا من خلال الشخصية الرئيسية
4- العنوان يشكل الأساس في العمل الأدبي كالرأس بالنسبة للجسم .

و في رواية " **لونجة و الغول** " لا نجد علاقة كبيرة بين العنوان و مضمون الرواية و هذا نوع من المخاتلة .

5- إثراءنا بالمادة التاريخية للثورة الجزائرية و إرساخ مبدأ النضال و الكفاح من أجل الوطن في ذهن الشباب الذي لم يعايش الثورة .
6- سجلت الرواية الجزائرية تحولا كبيرا في تناولها للواقع الجزائري ، فكانت شاهدا على مأساة الفرد ، حيث تناولت الأزمة التي انعكست على كتابات الروائيين ، و هذا ما جعل رواية التسعينيات مجالا واسعا للبحث و الدراسة سواء بتفصيلها لمجريات الأزمة أو بحثها عن حلول من خلال الأحداث التاريخية ، فالرواية تمثل الواقع ، و الرواية الجزائرية مثلت الواقع الجزائري الذي عاش مرحلة تحول خطير ، فتكمن خصوصية الرواية الجزائرية في تعبيرها عن واقعها و محاولة تغييره إلى الأحسن بطريقة فنية جمالية . ففي ظل الأزمات التي مرت بها الجزائر اهتزت القيم التي

كانت متجلية أثناء الثورة ، فحاولت اللجوء إلى الذاكرة لاسترجاع هذه الهوية .

7-دور الكتابة النسائية و اقتحام الأنثى الجزائرية ليميدان الإبداع الأدبي الذي يقوم بتجسيد تلك المكبوتات و التعبيرات لقوالب فنية عبرت أحسن تعبير عن شخصية المرأة الجزائرية .

فهرس المراجع

<u>ثبت قائمة المصادر و المراجع</u>

القرآن الكريم : رواية ورش .

المصادر :

- زهور ونيسي : لونجة و الغول ، دار حلب ، الجزائر ، 1993م

المراجع :

1- الصادق قسومة :

نشأة الجنس الروائي بالعالم العربي الحديث ، مركز النشر الجامعي ، تونس 2000م .

2- الصادق قسومة :

نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ، تونس 2004م .

3- آمنة بلعلي :

المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف ، دار للطباعة و النشر الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007م .

4- أنس داود :

الأسطورة في الشعر العربي الحديث ، دار العلوم للطباعة و النشر .

5- بشير بوجريو محمد :

الشخصية في الرواية الجزائرية 1970م- 1983م ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .

6- جعفر يايوش :

الأدب الجزائري الجديد التجربة و المآل ، المركز الوطني للبحث ف الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية ، طبع في مطبعة AGP ، وهران 2006م .

7- جورج لوكاتش :

الرواية التاريخية (ترجمة صلاح جواد كاظم) الطبعة الأولى ، بيروت 1978م عن منشورات وزارة الثقافة و الفنون ، الجمهورية العراقية بالتعاون مع دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت .

8- حامد حفني داود :

تاريخ الأدب الحديث ، تطوره معالمه الكبرى مدارسه ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983م .

9- حلمي محمد القاعود :

الرواية التاريخية في أدبنا الحديث ، دراسة تطبيقية ، دار العلم و الإيمان للنشر 2008م .

10-روزلين ليلى قريش :

القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007م .

11-زهور ونيسي :

الرواية 2- عاصمة الثقافة العربية 2007م .

12- عبد الحميد بن هدوقة :

الملتقى الدولي الثامن للرواية ، مطبعة إفتتاح ، برج الكيفان ، الجزائر .

13-عبد الله ركيبي :

الهوية بين الثقافة و الديمقراطية ، دراسات و مقالات ، دار هومة للنشر و التوزيع ، الجزائر 2007م .

14-عز الدين جلاوجي :

زهور ونيسي دراسة نقدية في أدبها ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م .

15-عزيز لعكايشي :

من أسئلة الراهن في النقد و الإبداع الجزائري الحديث ، صدر بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م .

16-عمر بن قينة :

في الأدب الجزائري الحديث ، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون ، الجزائر الطبعة الثانية 2009م .

17-فيصل دراج :

الرواية و تأويل التاريخ ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب الطبعة الأولى 2004م

18- ليندا عبد الرحمان عبيد :

تمثيلات الأدب في الرواية النسوية العربية المعاصرة ، فضاءات للنشر و التوزيع

19- محمد فتوح أحمد :

الرمز و الرمزية في الشعر العربي الحديث ، دار المعرفة للطباعة و النشر .

20- محمد مصايف :

النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر .

21- محمد مصايف :

دراسات في النقد و الأدب ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988م .

22- ناظم عبد الواح الجاسور :

الجزائر محنة الدولة و محنة الإسلام السياسي ، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة ، الطبعة الأولى 2001م .

23- نجم عبد الله كاظم :

الرواية العربية المعاصرة و الآخر ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، الأردن 2007م .

24- نضال الشمالي :

الرواية و التاريخ ، طبع بدعم وزارة الثقافة ، عمان ، الأردن ، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع ، 2006م .

25- واسيني الأعرج :

اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، طبع المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986م .

المعجم :

إبن منظور : لسان العرب ، دار صادر للنشر ، بيروت ، لبنان .

المجلات و الدوريات :

1- مجلة المستقبل العربي ، شباط (فبراير) العدد 336 السنة التاسعة و العشرون يصدرها مركز الدراسات الوحدة العربية ، 2007م .
2- مجلة الموقف العربي ، مجلة شهرية يصدرها اتحاد الكتاب العرب بسوريا عدد 75 خاص بالواقعية ، دمشق 1978م .
3- مجلة الفكر ، المجلد 25 ، العدد الثالث .
4- مجلة الثقافة ، عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م .
5- مجلة الثقافة ، عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007م .

الرسائل الجامعية :

1- الرواية العربية الجزائرية 1988م – 2000م صيرورات الواقع و مسالك الكتابة الروائية مقاربة بنيوية تكوينية .

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه دولة في الأدب العربي الحديث .
إعداد الطالب : حسان راشدي ، تحت إشراف الدكتور : يحي الشيخ صالح

السنة الجامعية (1422هـ 1423هـ) (2002م – 2003م) .

2-ذاكرة الزمن المتأزم بين الواقع و التخييل في الرواية الجزائرية العربية المعاصرة . ذاكرة الجسد و ذاكرة الماء نموذجا .

مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي شعبة الأدب الحديث .
إعداد الباحثة : هند سعدوني ، تحت إشراف الدكتور : يحي الشيخ صالح
السنة الجامعية (2003م- 2004م) .

3- إشكالية السلطة في الرواية الجزائرية

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية
إعداد الطالب : علال سنقوقة ، تحت إشراف الدكتور : نور الدين السد
السنة الجامعية (1996م – 19997م) جامعة الجزائر .

4- هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار : الشمعة و الدهاليز ، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي ، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء .

إعداد : لطيفة قرور ، تحت إشراف الدكتور : رشيد قريبع
السنة الجامعية (2009م – 2010م) .

الموقع الالكتروني :

www.eljoud.com

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة ....أ-و

- مدخل

1- مدخل عام حول فن الرواية.....................................9-17

2- ظروف نشأتها في الجزائر.......................................17-22

3- أسباب تأخر ظهورها في الجزائر.............................23-24

4- الأديبة زهور ونيسي في سطور 25-26

الفصل الاول :

تجليات التاريخ في رواية " لونجة والغول "

1- دلالات العنوان 27-32

2- لونجة والغول – الاسطورة – بين التاريخ والراهن المحكي....33-39

3- رمزية لونجة والغول في الرواية 40-46

4- التراث التاريخي في رواية لونجة والغول 47-49

5- مستوى احداث الرواية 50-60

الفصل الثاني

تجليات الواقع في رواية لونجة والغول

1- الواقع الفكري والاجتماعي والفكري في الرواية الجزائرية 64-69

2- الأزمات (السياسية والاجتماعية ، الاقتصادية ، الثقافية ، الدينية).70-83 .

3- الاديبة – الهروب من الواقع 86-91

4- رؤية الواقع عند الرواية في لونجة والغول.......................92-100

خاتمة 101-102